الرصد

WWW.ALRASED.NET

العدد العشرون صفر ١٤٢٦هـ

أهل السنة...

والافخاخ المنصوبة لهم !!!

تجربة زهير الشاويش

في مؤتمرات التقريب

طائفة الشبك في العراق

مسيحية تقود طريقة صوفية !!!!

مجلة الراصد الإسلامية
العدد العشرون – غرة صفر 1426 هـ

1- فاتحة القول: أهل السنة ومنعطفات في الطريق.....4
2- فرق ومذاهب: الشبك.....7
3- سطور من الذاكرة: مسيحية زعيمة للطريقة التيجانية 16
4- دراسات: 1- موقف مفكري الإسلام من الشيعة 6.....23
5- 2-الوحدة الإسلامية والتقريب بين أهل المذاهب.....34
6- كتاب الشهر: الحركات الباطنية في العالم الإسلامي.....41
7- قالوا.....44
8- جولة الصحافة:
- القضية العراقية في الوعي الدعوي.....48
قراءة في نتائج انتخابات العراق
- إيران بعد الانتخابات العراقية.....52
- الإفراز الديمقراطي للعراق.....56
- الحرس الثوري الإيراني ودورة في تصدير الثورة.....59
- العرب السنة والعملية السياسية في العراق.....62
- الفائز الأكبر.....64

- الهلال الشيعي.....66

ايران

- روليـــــت العلاقـــــات المصـــــرية ـــــــ الإيرانية.....70
- شـــــكاوي أهـــــل الســـــنة مـــــن حكـــــام طهران!.....77

وأيضاً

- رســـــالة الـــــى اعيـــــان شـــــيعة لبنان.....81
- أخطـــــاء إحصـــــائية لعـــــدد ســـــكان لبنـــــان والناخبين.....83
- شـــــــــــــيعة البحريـــــــــــــن والسيســـــتاني..... 85
- أيـــــــــــــــــــــــــــــار جديد..... 86.....
- تحريـــــــــــــــــــــــــــــك الأقليـات..... 88.....
- انتخابـــــات ســـــاخنة للمجلـــــس الأعلـــــى للطـــــرق الصوفية.....100
- الملتقـــــي الأول للصـــــوفية فـــــي غـــــرب افريقيا.....102

فاتحة القول

أهل السنة ومنعطفات في الطريق !!

اخبرنا الله عزوجل في محكم التنزيل عن مدى دهاء الكفار واعوانهم تجاه المسلمين فقال تعالى : " وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال " و لكن الله عز وجل قد بين لنا أنه لن يترك أولياءه فقال : " إنهم يكيدون كيداً و أكيد كيداً " .

ولكن هل يعنى هذا الركون إلى القدرة الربانية، و ترك الحذر و العمل ؟؟

كلا لم يكن هذا من سنة النبي صلى الله عليه وسلم فقد كان يوقن بالنصر الرباني لكنه كان يدرك أهمية القيام بالواجب الممكن و العمل المخطط للوصول للنصر والتمكين، وهذا واضح في سيرته صلى الله عليه وسلم في الهجرة أو في غزواته: بدر واحد و الخندق وسائر الغزوات .

ولما كنا نمتثل أمر ربنا : " لقد كان لكم في رسول أسوة حسنة " فعلينا التبصر بهذا الكيد و الحذر منه والعمل على رده في قلب من كاده لنا ، وهذا لا يكون إلا إذا عرفنا ما يعده لنا عدونا ومن يعينه عليه من بني جلدتنا و كيف نحسن التخلص من أفخاخه المنصوبة في منعطفات طريقنا .

ومن الأفخاخ المنصوبة في طريق أهل السنة في هذه الفترة من الزمن فخ الوقيعة بينهم وبين حكوماتهم، و جرهم لمعركة خاسرة للطرفين لا يستفيد منها سوى أعداؤهم في الخارج والداخل . و العجيب أن هذا الفخ المنصوب لأهل السنة معلن ومذاع على الملأ وقد نشر تحت عنوان " الخطة السرية للآيات " من سنوات فهل يكرر أهل السنة الخطأ القاتل الذي أخرج من أيديهم فلسطين ليد اليهود حين نشر موشيه ديان خطة حرب 67 قبل شنها بأشهر، ولما سئل عن ذلك قال : العرب لا يقرأون و إذا قرأوا لا يفهمون وإذا فهموا لا يعملون .

فها نحن نلدغ من نفس الجحر مر ات و قد بين لنا النبي صلى الله عليه وسلم : " إن المؤمن لا يلدغ من جحر واحد مرتين " فهل يدل هذا على تقصيرنا في معرفة عدونا وكيده لنا مما يوقعنا في فخاخه مرات عديدة ؟

وهل يكون هذا حافزا لنا على أن نعيد النظر في آلية فهمنا وحركتنا السياسية حتى لا نسجل الأهداف في مرمانا بدل مرمى الخصم ؟

لقد ذكروا في خطتهم ما يلي : " وفي النصف الثاني من هذه الخطة العشرية يجب ـ بطريقة سرية وغير مباشرة ـ استثارة علماء السنة والوهابية ضد الفساد الاجتماعي والأعمال المخالفة للإسلام الموجودة بكثرة في تلك البلاد، وذلك عبر توزيع منشورات انتقادية باسم بعض السلطات الدينية والشخصيات المذهبية من البلاد الأخرى، ولا ريب أن هذا سيكون سبباً في إثارة أعداد كبيرة من تلك الشعوب، وفي النهاية إما أن يلقوا القبض على تلك القيادات الدينية أو الشخصيات المذهبية أو أنهم سيكذبون كل ما نشر بأسمائهم، وسوف يدافع المتدينون عن تلك

المنشورات بشدة بالغة وستقع أعمال مريبة، وستؤدي إلى إيقاف عدد من المسؤولين السابقين أو تبديلهم، وهذه الأعمال ستكون سبباً في سوء ظن الحكام بجميع المتدينين في بلادهم؛ وهم لذلك سوف لن يعملوا على نشر الدين وبناء المساجد والأماكن الدينية، وسوف يعتبرون كل الخطابات الدينية والاحتفالات المذهبية أعمالاً مناهضة لنظامهم، وفضلاً عن هذا سينمو الحقد والنفرة بين العلماء والحكام في تلك البلاد؛ وحتى أهل السنة والوهابية سيفقدون حماية مراكزهم الداخلية ولن يكون لهم حماية خارجية إطلاقاً. "

يمكن الاطلاع على الخطة كاملة على هذا الرابط .....

يمكن الاطلاع على دراسة على الخطة على هذا الرابط .....

فهل ينتبه أهل السنة إلى أن الصدام مع السلطات ليس من أصل منهجهم أولاً ، بل هو خطة للعدو وليس هذا يعنى الركون و الجلوس بل إن منهج أهل السنة الصدع بالحق دون تهييج أو تضييع للمكاسب وانجرار للفتن .ومن تدبر سيرة الإمام احمد و شيخ الإسلام ابن تيمية عرف أن السكوت عن الحق لا يجوز ولكن دون أن نضيع ما هو أهم من عزة الإسلام و وحدة المسلمين في البلد الواحد إذا تعذر في كافة البلدان .

وهل تتنبه الحكومات إلى حقيقة دور علماء ومنهج أهل السنة كونهم النصير الحقيقي لهم إذا جدت الأمور لأن أهل السنة وعلمائهم كما كان يقول شيخ الإسلام عن نفسه : " أنا رجل ملة ولست رجل دولة " . أي نحن نريد أن ترتفع راية الحق لا أن نجلس محل الحكام .

وفخ آخر هذه الأيام قل من ينجو منه وهو التوحد والتعاون والتحالف مع المخالفين لأهل السنة بحجة التعاون ضد الإمبريالية و السطوة والأمريكية وهذا باطل .

وذلك أن هذا الباب هو الذي دخل منه التشيع على كثير من بلاد السنة فكان المتبصرون من أهل السنة لهم بالمرصاد , لكن الشيطان الذي حذرنا الله عز و جل من خطواته فقال : " ولا تتبعوا خطوات الشيطان " قد استزلهم من هذا الباب ، فأصبحت ترى رؤوس الشيوعية واليسار تخطب وتنظر لخاصة أهل السنة والجماعة !!!في مجلاتهم ومواقعهم و تقاريرهم السياسية !

بل أصبح البعض يتساهل في التعاون مع إيران بنفس الحجة حرب أمريكا و هو يري خيانة إيران في أفغانستان و العراق و سكوتها عن الصدام مع أمريكا لتحصل على مكاسب أكبر !!

هاهي الأخبار تنقل لنا المفاوضات بين أمريكا وبعض فصائل المقاومة في العراق وستكشف الأيام عن تخلى هؤلاء المخالفين لأهل السنة عنهم كما حدث كثيراً في تاريخنا المعاصر ، كان أهل السنة القطار الذي يوصل

هؤلاء إلى الكراسي ومن ثم يواصل اهل السنة طريقهم إلى المنافي إن لم يكن المشانق والسجون .

إن الناظر في إنتاج هؤلاء يرى مسيرة متواصلة من الفشل و الإخفاق في تحليل الأحداث وفهم الأمور فكم سمعنا منهم عن خطط سرية لحرب أمريكا في حرب الخليج الثانية ولم نر سوى الانسحاب المخزي، وبعدها بشروا بهزيمة أمريكا على جبال أفغانستان وللأسف فشلوا مرة أخرى و بعدها كان الصياح بانتظار معركة المطار و أسوار بغداد فلم نر إلا الاختباء في جحر !!

وحال من سار معهم وسيبقى سائراً كما قال الشاعر :

وإذا كان الغراب دليل قوم فليس يمر بهم إلا على جيف الكلاب

فمتى يتخلص أهل السنة من آليات قد ثبت بالرؤية الشرعية فشلها و إخفاقها في الفهم السياسي والعمل العام ؟؟؟

الشبك

مقدمة:

لا خلاف على أنه يعيش في العراق اليوم الكثير من المذاهب والديانات والطوائف والأعراق، وخاصة في شماله. ويختلف الباحثون والمؤرخون والكتاب اختلافا كبيرا عند تناول هذه الفرق، وتتضارب المعلومات حولها تضاربا كبيرا، بالرغم من أنها فرق معاصرة، ما زال لها وجود في العراق.

والشبك الذين نتناولهم في هذا العدد ليسوا بعيدين عن هذا الاختلاف، ومع ذلك فإننا نحاول أن نقدم للقارئ الكريم لمحة عن هذه الجماعة أو هذا الكيان المتواجد في شمال العراق، مع الإشارة إلى هذه الاختلافات،ومحاولة ترجيح الذي نراه أقرب إلى الصواب، يدفعنا إلى ذلك قلة المصادر وتضاربها، فأحد المصادر الذي يعتمد عليه كثيرون في هذا الموضوع هو كتاب "الشبك" لأحمد الصراف الصادر في بغداد عام 1954، إلا أن كتابا آخر صدر عام 2003 بعنوان " الأديان والمذاهب بالعراق" للكاتب العراقي رشيد الخيون يعارض كل ما جاء في كتاب الصراف تقريبا ، ويكاد لا يتفق معه على معلومة واحدة.

ولعل جزءا من الخلاف في ذلك يعود إلى ما يكتبه الشبكيون أنفسهم، فالبعض منهم مثلا يؤكد على أن الشبك عرق مستقل ليسوا عربا و لا كردا، في حين يعتبر البعض الآخر أنفسهم أكرادا وإن اختلفت لهجتهم بعض الشيء مع لهجة أكراد العراق الآخرين.

والذي نرجحه أن الشبك مجموعة عرقية تقطن شمال العراق في محافظة نينوى، في القرى المتناثرة شرق و غرب مدينة الموصل. وتعتبر أراضيهم من الأراضي المنبسطة الزراعية ذات الطابع الريفي. ويجاورون مناطق اليزيدية والمسيحيين .

وهي جماعة"مشتبكة الأصول" وملتبسة لدى الباحثين المختصين.وتعتنق في غالبيتها أو جزء كبير منها المذهب الشيعي الإثني عشري .

ومن الصعوبة الوصول الى الاعداد الحقيقية للشبك في الوقت الحاضر لغياب أي احصاء حديث موثّق عنهم، ولعل رقم مائة الف نسمة يقترب من الصحة كما ذكره عدد من الباحثين. وهم موزعون على حوالي ستين قرية حول الموصل متفرقة الى جانب بضعة آلاف يسكنون مدينة الموصل نفسها. وقد اوردت الحكومة العراقية اعدادهم ضمن الاحصاء السكاني لعام 1960 فبلغت بهم خمسة عشر الف نسمة ضمن خمسة وثلاثين قرية والإنكليز أوردوا رقما يقارب العشرة آلاف نسمة سنة 1925 .وفي إحصاء عام 1977 تراوح عددهم بين 58 – 75 ألفا.

أما الشبك فإنهم يدعون أن نسبتهم 4% تقريبا من نسبة سكان العراق ، أي حوالي مليون نسمة حاليا من أصل 25 مليونا، وهي مجافاة واضحة للواقع.

وأهم قراهم هي: دراويش، قره تبه، باجربوعة (التي تسمي محليا باجربوغ) بازواية (بيت زاوا) ، طوبرق زياره، خزنة تيه، منارة شبك، يتراوه (طهروا)، علي رش، طونراوه (طوبز آوه)، كورغريبان، كبرلي، باشبيثه، تيس خراب، ينكيجه، خرابة سلطان، بدنة، باسخره، شيخ امير (شيخ مير)، وبعويزه.

وفي عهد صدام حسين تم ترحيل ثلاثة آلاف عائلة الى مجمعات سكنية حديثة المنشأ في سهل حرير بمحافظة اربيل وكذلك الى منطقة بازيان ومنطقة جم جمال التابعة لمدينة كركوك.

ويوصف رجال الشبك بأنهم طوال القامة شقر الوجوه تميل شقرتهم الي السمرة لا يحلقون اللحى ولا يحفون الشوارب ، يتكلمون بلسان غريب هو خليط من الفارسية والكردية والعربية والتركية وليس لهم من عمل يعملونه غير" ازدراع الزرع ومري الضرع " كناية عن الزراعة وتربية الماشية.

ويسكن الشبك مع قوم يسمون بالـ(باجوان) و(اصلها باجلان). وهي عشيرة كردية كبيرة ينتشر أبناؤها في ثلاث محافظات هي الموصل وديالى وكركوك، وتنتشر ضمن ثلاث دول هي تركيا والعراق وإيران وهؤلاء فيهم سنة وشيعة، ويتحدثون لهجة الماجو الكورانية وهي لهجة في اللغة الكردية.

أصولهم:

ويختلف الباحثون في أصل الشبك، وقد أورد أحمد حامد الصراف في كتابه" الشبك" أن هناك خمسة احتمالات في اصولهم:

الأول ان يكون الشبك احدى العشائر الكردية المتوطنة في العراق منذ زمن لا نعرفه.

والثاني ان يكونوا من الاتراك الذين نزحوا الى العراق في عهد السلطان طغرل بك السلجوقي.

أما الاحتمال **الثالث** ان يكون الشبك من عشائر "القره قوينلو" او "الاق قوينلو"، وهما عشيرتان تركيتان سكنتا شمال العراق وكانتا متشيعتين(القرة قوينلو حكمت العراق من 1410 – 1468 م).

والرابع ان يكونوا من الاتراك الذين جاء بهم السلطان مراد الرابع سنة 1047 م فاسكنهم شمال العراق.

والاحتمال **الخامس** ان يكون الشبك اتراكا جاءوا الى العراق مع عقيدتهم ومذهبهم في عهد الصفويين الشيعة (حكمت الأسرة الصفوية أيران من 1500 – 1750 م) .

وفي **رسالة للدكتور داود الجلبي** وردت في كتاب الصراف يقول ان الشبك جاءوا من جنوب ايران وان لسانهم خليط بين الفارسية والكردية والعربية وقليل من التركية وان لهجتهم اقرب الى لسان البلوش.

أما الدكتور ميشيل ليزيرك الأستاذ المتمرس في قسم الفلسفة بجامعة أمستردام بهولندا فقد قدم بحثاً في الدراسات السكانية ترجمه د. إسماعيل سلطان ورد فيه أن الشبك ظاهرة سكانية متميزة في شمال العراق ظهرت بوضوح في القرن السادس عشر الميلادي على خلفية التنافس العثماني الصفوي في المنطقة .

ويعتبر أهل الموصل بأن الشبك هم من"جماعة نادر شاه". و تعود الأحداث إلى سنة 1743م حين حاصر نادر شاه الصفوي(1)الموصل وأمر الوالي العثماني عليها انذاك حسين بك الجليلي الدفاع عنها، وعدم الاستسلام للجيش الصفوي الغازي، وأمر بجمع الناس داخل إسوار الموصل ليسهل الدفاع عنها و تكون المقاومة اكثر جدوى وتأثيرا. ولكن الشبك رفضوا الانصياع لذلك و استقبلوا جيش الغزاة .

وكان الكثير من جيش نادر شاه و خاصة اولئك الذين كانوا قد اصطحبوا عوائلهم، قد اندسوا في قرى الشبك و استقروا فيها و بدأوا بالدعوة الى التشيع فتشيع معظم الشبك على ايديهم.

تنظيمهم الاجتماعي:

يبدو ان تنظيمهم الاجتماعي يقترب من مراتب الطرق الصوفية حيث يسمى رجل الدين الناشئ " المريد " وهو يرتبط روحياً بشخص اعلى منه مرتبة يسمى "المرشد " وهنالك عدة مراتب للمرشدين وهم جميعاً يرتبطون بمرجع اعلى يسمى" البير ". ومن الناحية النظرية يحق للأفراد تزكية احدهم واختياره لمنصب البير ولكن عمليا تم توارث هذا المنصب بين عائلات معينة على مدى عقود من الزمن .

أهم عقائدهم:

يغلون في علي غلوا عظيما فقد وصفوه ونعتوه باوصاف ونعوت لا يقرها الاسلام. والشبك كالبكتاشيه(2) يكررون في اجتماعاتهم لفظة "الف الله م محمد ع علي" تكرارا مستمرا متواليا في جميع اذكارهم واورادهم وادعيتهم. ويكررون بان حب علي حسنة تمحو كل سيئة.

ويعتبر "بويورق" أي المناقب أهم الكتب الدينية عند الشبك ويعرف عندهم بـ (البرخ) ويتضمن حواراً في اداب الطريقة الصوفية بين الشيخ صفي الدين بن اسحق الاردبيلي وبين الشيخ صدر الدين وهما من رؤساء الصفويين ، يحض علي التقوى والتمسك بالولاء لآل البيت.

وللأعداد اهمية خاصة في الاجتماعات التي يعقدها الشبك، حيث يكثرون من الالتماس والاستغاثة في اذكارهم واورادهم باعداد: الثلاثة، الخمسة، السبعة، الاثني عشر، الاربعة عشر، والاربعين، وكل عدد من هذه الاعداد ترمز عندهم الي امور دينية مقدسة عندهم:

فالثلاثة هم الله ومحمد وعلي.

و**الخمسة** هم الرسول محمد صلي الله عليه وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين ويسمون باصحاب الكساء.

ويرمز **العدد سبعة** الي درجات ومراتب اهل الطرق الصوفية وهي: المنتسب، المريد، الدرويش، المرشد، البير ــ البابا، القلندر، الرند، والقطب.

والاثنا عشر ويرمز الي الائمة الاثني عشر وهم الامام علي المرتضي والحسن المجتبي، والحسين الشهيد بكربلاء، وعلي بن الحسين زين العابدين (السجاد) ومحمد الباقر، وجعفر الصادق، وموسي الكاظم، وعلي النقي (الهادي)، وحسن العسكري، ومحمد المهدي.

ويرمز العدد **اربعة عشر** الى الائمة الاثنى عشر يضاف اليهم اسم الرسول صلى الله عليه وسلم واسم ابنته فاطمة الزهراء.

والاربعون وهم الابدال او الواصلون وهؤلاء لا يعرفهم الناس ولا يرونهم لانهم رجال الغيب او رجال الله وجند الله وان الله منحهم قوة وزودهم قدرة علي حفظ نظام الدنيا وفي مقدمة ذلك اغاثة الملهوف ومعاونة المظلوم كما يعتقد الشبك .

وفي معرض حديثه عن مبدأ التقية عند الشبك الشيعة يقول الصراف "وقد ظهر لي ان التكتم من اولي شعائر الشبك وان الطريقة طلسم من الطلاسم والنحلة سر من الاسرار والانكار والتقية درع ومجن يتقي بها الشبكي الخطر ولم اشك لحظة في ان الكتمان عند الشبك احد واجبات الايمان المفروضة عليهم وهو من مستلزمات العقيدة الاسماعيلية الباطنية التي كانت تبالغ في التستر".

ويشير في مقدمة الكتاب الي أن "الشبك غصن من الشجرة الامامية ..لهم اذكار واوراد وصلوات مثل الطرق الاخري كالنقشبندية والرفاعية والقادرية ولهم رسوم وعادات خاصة بهم وقد تبدلت بتسلط الجهلة عليهم فأبعدهم هؤلاء عن الاسلام وانسوهم الفرائص والسنن، وحللوا لهم المحرمات واقحموهم في الكبائر والموبقات".

عباداتهم وأعيادهم:

وفي **باب العبادات** يشير الصراف ان الشبك لا يؤدون فريضة الصلاة كسائر المسلمين ويكتفون بصلاة واحدة في ليلة الجمعة وهم قعود علي شكل حلقة ويكون الاجتماع في دار البير الذي يبدأ بتلاوة ما يستظهره علي قلبه من (الكلبنك) (3). ومن ثم يأمر البير الحاضرين ان يسجدوا فيسجدون.. الخ. كما ان الشبك لا يصومون شهر رمضان الا انهم يصومون تسعة ايام من العشرة الاولي من شهر محرم الحرام.

والشبك لا يزكون اموالهم كسائر المسلمين، الا انهم يعطون من حاصلاتهم الزراعية ما يسمونه خمس الجد لاناس يعتقدون انهم سادة من صلب النبي. والشبك لا يحجون الي بيت الله الحرام ولكنهم يقصدون العتبات المقدسة بالنجف وكربلاء ويشرعون بالاتصال بمجتهدي الشيعة والحج لا يتم عندهم الا لسبع مرات.

وللشبك مواسم دينية خاصة يحتفلون بها صارت من عاداتهم وتقاليدهم التي لا تخرج عن حظيرة عقيدتهم، وهذه المواسم هي:

١ ــ **ليلة رأس السنة**، وهي من الليالي المقدسة وتكون في الليلة الاولي من شهر كانون الاول (يناير) من كل سنة ولهم احتفال خاص بها، ويجوز ان يكون الاحتفال به في العشر الايام الاولي او العشر الثانية منه.

٢ ــ **ليلة التعاذر او ليلة التغافر** التي يعقد فيها الشبك اجتماعات خاصة في ليالي الجمعة ويقولون أنها لازالة الاحقاد والبغضاء من قلوب الشبك واحلال الحب والسكينة فيها يغفر المتباغضون بعضهم لبعض ويصطلحون فيها، ولها مراسم خاصة يقوم بها اثنا عشر شخصا برئاسة البابا البير.

ويعتبر الاجتماع في ليلة التعاذر من الاجتماعات المقدسة، والاثنتا عشر شخصا هم رمز الاثني عشر معصوما من ائمة الشيعة وهم: البير، البابا اي الشيخ وهو الرأس عند الشبك، الرهبر وهو الدليل وله مقام ادني من مقام البير، حامل الجراغ اي حامل المصباح او الشمعة، حامل المكنسة ويتولي كنس دار البير المعد للاجتماع السقاء الموكل بسقاية المجتمعين، اربع خدام وبوابان يلازمان باب دار البير.

٣ ــ **ليلة الاعتراف،** وهي الليلة التي يتقدم بها الشبكي الي البابا فيعترف له بخاطياه وذنوبه وفيها ينشد البابا (الكلبنك) الخاص بالاعتراف وقد يجاريه في الانشاد الرهبر. وقد اقتبس الشبك عادة الاعتراف بالذنوب من البكتاشية فصارت جزءا من تعبدهم.

٤ ــ **مراسم الدخول** في الطريقة وهي مراسم خاصة يقوم بها البابا ويساعده علي ذلك الرهبر. وكل من اراد الدخول يجب عليه ان يفتش عن شخص آخر ليعيش معه هو وزوجته ليكونا اربعة مدة اربعين يوماً او سبعين يوما.

٥ ــ **زيارات مراقد** الأئمة حيث يقدس الشبك الائمة الاثني عشر الذين يقدسهم الشيعة الامامية ويعدونهم ائمتهم المكرمين المعصومين فينذرون لهم النذور ويقدمون باسمائهم القرابين ويتغنون بالقصائد (كلبنك) بمآثرهم وكراماتهم ومعجزاتهم تقربا اليهم وطلبا للشفاعة منهم.

وللشبك مواسم عامة ومواسم خاصة لزيارة المراقد والعبات المقدسة عند الشيعة، ومواسمهم العامة هي عين مواسم الشيعة الامامية **كيوم عاشوراء ويوم مرد الرأس، ويوم الخامس عشر من رجب وكذلك الخامس عشر من شهر شعبان يوم ذكري مولد الامام المهدي الغائب المنتظر.** اما مواسمهم الخاصة فهي **زيارة مرقد العباس في قرية العباسية ومرقد حسن فردوش في قرية الدراويش ومرقد زين العابدين في قرية علي رش، ورجم قبر عبد الله بن زياد** في موقع شرقي الموصل.

٦ــ **العشرة الاولى من محرم** حيث يقيم الشبك المناحات والمآتم فيبكون وينوحون ويلطمون ولهم في ذلك اهازيج خاصة وتسمي مراسيم عاشوراء حزنا علي الحسين ، ويرتدي فريق منهم السواد ويصومون تسعة ايام عاشورا الاولي، وبعد انتهاء اليوم العاشر يحرمون اكل اللحم علي انفسهم مدة ثلاثين يوما اخري، وفي اليوم العاشر يهيئ الموسرون منهم طعاما لفقرائهم فاذا طلع اليوم العاشر عليهم وقفوا في قراهم او في

المزارات المقدسة في علي رش وبير حلان صفوفا رجالا ونساء واطفالاً يلطمون وينوحون ويبكون.

ولشيوخ الشبك اعلام ترفرف علي بيوتهم ويرفع العلم الاسود في شهر محرم الحرام مشيرا الي المآتم والحزن وبيدهم اكف مصنوعة من البرونز والحديد يجولون بها في الضياع في ايام معدودة فيتهافت عليها الشبك يقبلونها ويتبركون بها، ويسمي **الكف (كف العباس)** يقصد به الشهيد ابو الفضل العباسي حامل راية الامام الحسين في واقعة كربلاء وهذه العادة موجودة في الفرات الاوسط ايضا.

أبرز هيئاتهم في العراق:

1- رابطة المثقفين الشبك.

2- رابطة الطلبة والشباب الشبك.

3- اتحاد نساء الشبك.

4- رابطة شيوخ وأعيان الشبك.

5- التجمع الديمقراطي الشبكي (حركة سياسية).

أبرز أنشطتهم:

1- عقد المؤتمر الأول لمنظمات المجتمع المدني للإيزيديين والشبك والكلدوآشوريين في محافظة نينوى على قاعة نادي الموصل الاجتماعي في 25/ 8 /2004 تحت شعار" ضمان حقوق الايزيديين والشبك والكلدواشوريين، تجسيد لتحقيق العدالة والحرية والديمقراطية"، وبحضور اكثر من 150 شخصا. وأقر المؤتمر عدة توصيات منها :

أ- تكثيف الجهود لبناء عراق موحد ديمقراطي فيدرالي تعددي حر ،واحترام دور العبادة والأماكن المقدسة.

ب- الإقرار بالوجود القومي للأيزيديين والشبك دستورياً .وتخصيص حقل لكل من الأيزيديين والشبك في استمارة التعداد السكاني العام.

ج- ضمان العمل بحرية دون تدخل الجهات الأخرى وفرض الوصاية . والمطالبة بتمثيل هذه الفئات في كافة مفاصل إدارات الدولة ، وحسب نسبتها السكانية بما في ذلك السفراء والدبلوماسيين والبعثات الدراسية والقضاة .

د- مساهمة منظمات المجتمع المدني والمستقلين من هذه الفئات ، في الإدارات المحلية والمجالس البلدية بما لا تقل عن 25% من مجموع الممثلين .

هـ - دعم منظمات المجتمع المدني ورعايتها وتمويلها من قبل الدولة بما يخدم تطلعاتهم . وتخصيص جزء من نشاطات الوزارات المختلفة لصالح هذه المنظمات وحسب اختصاصات المنظمات وتوافق عملها مع عمل هذه الوزارات .

2- توجيه رسالة باسم عشائر ومنظمات المجتمع المدني للشبك في صيف عام 2004 إلى رئيس جمهورية العراق غازي الياور ونائبيه إبراهيم الجعفري و روز نوري شاوبس ورئيس الوزراء إياد علاوي ورئيس المجلس الوطني ونوابه وأعضاء المجلس ،اعتبروا فيها أن الشبك رابع أكبر قومية بعد العرب والأكراد والتركمان وأنهم يعانون الظلم والتهميش.

وجاء في الرسالة :"على الرغم من مرور عام ونصف تقريباً على احتلال العراق وتغير النظام فيه ولم نلمس ما كنا نتأمله من الأحزاب والحركات السياسية وبالذات (الأحزاب الشيعية) التي أوعدت الشبك بوعود غير صادقة وكأنهم هم الذين حرروا العراق مع الأحزاب الكردية والأمريكان وغيرهم غير معني بشئونه ومستقبله".

واعترضوا لأن المجلس الوطني (البرلمان) المؤقت لم يكن فيه ممثل لهم إنما تم انتخاب شخص تركماني الأصل ويسكن محافظة أربيل الكردستانية في المؤتمر الوطني الذي عقد في 16/ 8/2004 ببغداد ليمثل الشبك في محافظة نينوى .

وجاء في رسالتهم أيضا: إننا مثقفو الشبك وكل الشبك .. من الممكن أن نكون شركاء في العملية السياسية إذا كانت النيات سليمة والمصالح مشتركة ولكن أن نكون الضحية بدون منافع فهذا لا يمكن قبوله أبدا **و نطالب كذلك بعقد مؤتمر رسمي من مثقفي الشبك ومكتب عشائر الشبك والقيادات الكردية وبأشراف الأمم المتحدة وقوات التحالف والحكومة الحالية بانهاء هذا التدخل القومي** فإذا كنا لحد الآن لم نكسب الدرجة القطعية في عراقيتنا إلا في الواجبات فإنا نرى بأنه قد حان الوقت الأن التفكير بها

3- اعتراضهم الواسع بسبب حرمان مناطق الكلدوآشوريين واليزيدين والشبك في مناطقهم من الانتخابات بسبب عدم فتح مراكز،وقد قدموا شكوى الى المفوضية العليا المستقلة للانتخابات لعدم ارسال الصناديق الى هذه المنطقة في انتخاب ممثليهم الى الجمعية الوطنية.

هوامش:

1- نادر شاه هو مؤسس دولة الأفشار (والتي استمرت من 1148 – 1210 هـ) و قامت على انقاض الدولة الصفوية الشيعية وبالرغم من أنه قضى جزءا من حياته في محاربة أهل السنة والدولة العثمانية ،إلا أنه أراد في آخر حياته التقارب مع السنة ، وعقد مؤتمر النجف الشهير حول هذه الغاية عام 1156 هـ (1743م) لكنه قتل على يد جيشه الذي لم يرق له التقارب الحقيقي مع السنة.

2- البكتاشية فرقة صوفية شيعية تنسب إلى الحاج بكتاش، وقد نشرنا عنها مقالا مفصلا في العدد 18، باب فرق.

3- الكلمة مركبة من كلمتين (كل) اي زهر و (بنك) صوت من الفارسية وتتصحف هذه الكلمة احيانا في كتب العرب الي (كلبند)، و

الكلبنك هي القصائد التي نظمها شعراء الشبك وشيوخهم باللغة التركمانية الجفكائية في مدح آل البيت.

أهم المصادر:

1- الشبك _ أحمد حامد الصراف

2- الأديان والمذاهب بالعراق _ رشيد الخيون

3- موقع بحزاني على شبكة الانترنت bahzani.net

4- مقال " الموصل ولاية الأزمات والأقليات – محمد مظلوم- الحياة 29/1/2005

مسيحية زعيمة للطريقة التيجانية !

إحسان إلهي ظهير

خدمات كثيرة أسدتها الطريقة التيجانية في الجزائر ، وهي إحدى الطرق الصوفية، للاستعمار الفرنسي أثناء احتلاله لبلد المليون شهيد ، وقد ذكر بعضا منها العلامة الشيخ إحسان إلهي ظهير (1941- 1987م) رحمه الله في كتابه "**دراسات في التصوف**" .ثمة موضوع لا يخلو من الغرابة ورد في ثنايا ما كتبه الشيخ ظهير - وهو الخبير بأحوال الفرق والأديان - وهو تولي امرأة مسيحية رئاسة الطريقة التيجانية في الجزائر.

لندع الشيخ إحسان رحمه الله هو من يكتب زاوية "سطور من الذاكرة" لهذا الشهر:

.. ونريد أن نذكر في آخر هذا المبحث الخدمات الجليلة التي أداها التجانيون لدعم الاستعمار الفرنساوي الصليبي الكافر الغاشم، الغازي لتلك البلاد المسلمة التي يقطنها التجانيون، فلقد ذكر المؤلف التجاني صاحب الفتح في الباب السابع تحت عنوان "ذكر كرامات شيخنا رضي الله عنه" منها: أخباره باستيلاء فرنسا على بلاد الجزائر، وكان كثيراً ما يشير إلى ذلك بما يفيد التحقق بوقوعه تصريحاً وتلويحاً[1].

وعلى ذلك قام التجانيون في الجزائر والمغرب بالدفاع عن الاستعمار الفرنسي، وتحريض المسلمين على الخنوع والخضوع أمامهم، وتسليم البلاد بأيديهم بدون قتال ولا جدال، ومنعهم عن المحاربة والوقوف أمامهم ففي خطبة ألقاها محمد الكبير شيخ التيجانية في وقته يذكر فيها بعض تلك الخدمات بكل اعتزاز وافتخار، فيقول كما نشرتها مجلة الفتح العدد 257 القاهرة يوم الخميس 16 صفر سنة 1350هـ السنة السادسة بعنوان "صاحب السجادة الكبرى يلقي بين يدي فرنسا خطبة الإخلاص"، وهذا نصه:

اعترافات خطيرة

صاحب السجادة الكبرى يلقي بين يدي فرنسا "خطبة الإخلاص" الجزائر في 23ـ 1ـ 1350 لمراسل الفتح.

نشرت جريدة La Presse Libre وهي جريدة فرنسية استعمارية يومية كبرى تصدر في عاصمة الجزائر في عددها الصادر يوم السبت 16 مايو (28 ذي الحجة: خطبة طويلة ألقاها الشيخ "سيدي" محمد الكبير صاحب "السجادة الكبرى"ـ أي: رئيس الطريقة الصوفية المسماة بالطريقة التجانية ـ بين يدي الكولونيل سيكوني "الفرنسي" الذي ترأس بعثة من الضباط قامت بنزهة استطلاعية في الجنوب الجزائري، ومهدت "لابريس ليبر" للخطبة بكلمة جاء فيها.

وبعد ما طافت هذه البعثة العسكرية في مدينة الأغواط، سافرت إلى عين ماضي المركز الأساسي للطريقة الصوفية الكبرى "التجانية" ملبين

---

[1] ـ انظر الرباني فيما يحتاج إليه المريد التجاني لمحمد بن عبد الله بن حسنين الطنطاوي التيجاني ص 86.

دعوى رئيس هذه الطريقة المحترمة المبجلة الشيخ سيدي محمد الكبير، وبعدما تفرجوا على المدينة ـ يعني قرية عين ماضي ـ وعلى الزاوية ذهبوا إلى القصر العظيم الذي شيد بإيعاز من السيدة الفرنسية مدام أوريلي التجاني "أيّم التجاني"، وفي ردهات هذا القصر الرائعة الجميلة أقيمت مأدبة فخمة فاخرة كبرى لهؤلاء الضباط ولنواب الحكومة العسكرية المحلية بالأغواط وعين ماضي، وفي أثناء شرب الشاي قام حبيبنا حسني سي أحمد بن الطالب، وتلا باسم المرابط سيدي محمد الكبير صاحب السجادة التجانية الكبرى خطبة عميقة مستوعبة للخدمات الجليلة الصالحة التي قامت بها الطائفة التجانية لفرنسا وفي سبيل فرنسا في توطيد الاستعمار الفرنسي، وفي تسهيل مهمة الاحتلال على الفرنسيين، وفي إشارات التعقل كانت تسديها هذه الطريقة لمريديها من "الأحباب"...

ثم قالت الجريدة: وحيث طلب منا نشر هذه الخطبة القيمة فإننا ننشرها فيما يلي: وهنا أوردت الجريدة جانباً كبيراً من الخطبة ـ نصفها أو ثلثيها ـ كله ثناء لا يحصى ولا يعد على فرنسا المستعمرة، فوصفها الخطيب بأنها "أم الوطن الكبرى" وانهال عليها مدحاً وشكراً بما لا يخرج عن معنى ما نسمعه دائماً من دعاتها المأجورين، إلا أنه قال: "حتى اعترفوا لفرنسا بالمدنية والاستعمار، وبأنها حملت عنا ما كان يثقل كواهلنا من أعباء الملك والسيادة، وحملة الأمن والثروة والرخاء والسعادة والهناء...

ولكن المهم من الخطبة هو الجانب الأخير منها، لأنه يحوي اعترافات خطيرة مثبتة بتواريخها، ونحن ننقل هذه الاعترافات حرفياً، ونعرضها على صفحات "الفتح" المجلة التي يثق بها المسلمون جميعاً، ولكل مسلم أن يحكم على هذه الاعترافات بما يشاء.

قال الشيخ سيدي محمد الكبير صاحب السجادة الكبرى "التجانية"، وهو "خليفة" الشيخ أحمد التجاني الأكبر مؤسس هذه الطريقة، وهذا "الخليفة" يسيطر على جميع أرواح "الأحباب" المريدين التجانيين في مشارق الأرض ومغاربها:

... إنه من الواجب علينا إعانة حبيبة قلوبنا مادياً وأدبياً وسياسياً، ولهذا فإني أقول لا على سبيل المنّ والافتخار، ولكن على سبيل الاحتساب والتشرف بالقيام بالواجب... أن تصل بلادنا وقبل أن تحتل جيوشها الكرام ـ كذا ـ ديارنا.

ففي سنة 1838 كان جدي سيدي محمد الصغير ـ رئيس التجانية يومئذ ـ أظهر شجاعة نادرة في مقاومة أكبر عدو لفرنسا، الأمير عبد القادر الجزائري، ومع أن هذه العدو ـ يعني الأمير عبد القادر ـ حاصر بلدتنا عين ماضي، وشدد عليها الخناق ثمانية أشهر، فإن هذا الحصار تم بتسليم فيه شرف لنا نحن المغلوبين، وليس فيه شرف لأعداء فرنسا الغالبين، وذلك أن جدي أبى وامتنع أن يرى وجهاً لأكبر عدو لفرنسا، فلم يقابل الأمير عبد القادر!

وفي سنة 1684 كان عمي سيدي أحمد ـ صاحب السجادة التجانية يومئذ ـ مهّد السبيل لجنود الدوك دوماك، وسهل عليهم السير إلى مدينة بسكرة، وعاونهم على احتلالها.

وفي سنة 1870 حمل سيدي أحمد هذا تشكرات الجزائرين للبقية الباقية من جنود "التيرايور" الذين سلموا من واقعه "ريش ـ هوفن" وواقعه "ويسانبور"، ولكي يظهر لفرنسا ولاءه الراسخ وإخلاصه المتين، وليزيل الريب وسوء الظن اللذين ربما كانا بقياً في قلب حكومتنا الفرنسية العزيزة عليه ـ يعني: من حيث كونه مسلماً ولو بالاسم فقط ـ برهن على ارتباطه بفرنسا ارتباطاً قلبياً، فتزوج في أمد قريب بالفرنسية الآنسة أوريلي بيكار (مدام أو أيّم التجاني بعدئذ)، وبفضل هذه السيدة ـ نعترف به مقروناً مع الشكر ـ تطورت منطقة كوردان هذه ضاحية من ضواحي عين ماضي من أرض صحراوية إلى قصر منيف رائع، ونظراً لمجهودات مدام أوريلي التجاني هذه المادية والسياسية فإن فرنسا الكريمة قد أنعمت عليها بوسام الاحترام من رتبة "جوقة الشرف".

المراسل: وسيدي أحمد هذا لما تزوج في سنة 1870 بهذه المرأة الفرنسية، كان أول مسلم جزائري تزوج بأجنبية،وقد أصدرت هي كتاباً فرنسياً في هذه الأيام أسمته "أميرة الرمال" تعني نفسها، وقد ملأته بالمثالب والمطاعن على الزاوية التجانية، وذكرت فيه أن سيدي أحمد هذا إنما تزوجها على يد الكاردينال لافيجري على حسب الطقوس الدينية المسيحية، وذلك لأن قانون الزواج الفرنسي كان دينياً مسيحياً لا مدنياً، ولما توفى عنها سيدي أحمد هذا خلفه عليها وعلى السجادة التجانية أخوه سيدي علي!...

ولما أنعمت فرنسا بوسام الشرف على هذه السيدة منذ أربعة أعوام، قالت الحكومة في تقريرها الرسمي ما نصه: لأن السيدة قد أدارت الزاوية التجانية الكبرى إدارة حسنة كما تحب فرنسا وترضى، ولأنها كسبت للفرنسيين مزارع خصبة ومراعي كثيرة، لولاها ما خرجت من أيدي العرب الجزائريين "التجانيين"، ولأنها ساقت إلينا جنوداً مجندة من "أحباب" هذه الطريقة ومريديها، ويجاهدون في سبيل فرنسا صفّاً كأنهم بينان مرصوص...

واليوم تعيش هذه السيدة (أيّم التجاني) في مزرعة لها كبرى في ضواحي مدينة بالعباس ـ وهران عيشة المترفين ذوي الرفعة والنعيم، وهي الآن لم تقطع علاقاتها بالزاوية التجانية، بل لا تزال تسيطر عليها، وتقبض على أزمتها، ومع أن الأحباب التجانيين يتبركون بهذه السيدة ويتمسكون بآثارها ويتيممون لصلواتهم على التراب الذي تمشي عليه، ويسمونها "زوجة السيدين"، فإنها لا تزال مسيحية كاثوليكية إلى هذه الساعة، ومن العجيب أن إحدى وستين سنة قضتها كلها في الإسلام وبين المسلمين من (1870 إلى الآن 1930) لم تغير من مسيحيتها شيئاً، وهذا دليل على ما كانت عليه تكنه في قلبها لهؤلاء "الأحباب" الذين حكموها في رقابهم وأموالهم!!.

ولنرجع إلى نقل الاعترفات فنقول: ثم قال سيدي محمد الكبير: وفي سنة 1881 كان أحد "مقاديمنا" سي عبدالقادر بن حميدة مات شهيداً مع الكولونيل فلانير حيث كان يعاونه على احتلال بعض النواحي الصحراوية.

وفي سنة 1894 طلب منا جول كوميون والي الجزائر العام يومئذ أن نكتب رسائل توصية، فكتبنا عدة رسائل، وأصدرنا عدة أوامر إلى أحباب

طريقتنا في بلاد الهكار (التوارق) والسودان نخبرهم بأن حملة فوولامي الفرنسة هاجمة على بلادهم، ونأمرهم بأن لا يقابلوها إلا بالسمع والطاعة، وأن يعاونوها على احتلال تلك البلاد، وعلى نشر العافية فيها!!.

وفي سنة 1906ـ 1907 أرسل المسيو جونار والي الجزائر العام يومئذ ضابطه المترجم مدير الأمور الأهلية بالولاية العامة سيدي مرانت برسالة إلى أبي المأسوف عليه سيدي البشير، فأقام عنده في زاوية كوردان شهراً كاملاً لأداء مهمة سياسية، ولتحرير رسائل وأوامر أمضاها سيدي البشير والدي ـ رئيس التجانية يومئذ ـ. ثم وجهت ـ أرسلت ـ إلى كبراء مراكش ـ المغرب الأقصى ـ وأعيانها وزعماء تلك البلاد وجلهم ـ أو قال: وأكثرهم ـ تجانيون من أحباب طريقتنا نبشرهم بالاستعمار الفرنسي، ونأمرهم بأن يتقبلوه بالسمع والطاعة والاستسلام والخضوع التام، وأن يحملوا الأمة على ذلك، وأن يسهلوا على جيوش فرنسا تلك البلاد.

وفي الحرب العالمية الكبرى أرسلنا ووزعنا في سائر أقطار شمال أفريقية منشورات تلغرافية وبريدية استنكار لتدخل الأتراك في الحرب ضد فرنسا الكريمة وضد حلفائها الكرام، وأمرنا أحباب طريقتنا بأن يبقوا على عهد فرنسا وعلى ذمتها ومودتها.

وفي سنة 1913 إجابة لطلب الوالي العام للجزائر أرسلنا بريداً إلى المقدّم الكبير للطريقة التجانية في السنغال سيدي الحاج مالك عثمان ساي نأمره بأن يستعمل نفوذنا الديني الأكبر هناك في السودان لتسهيل مأمورية كلوزيل الوالي العام للجزء الشمالي من إفريقية الغربية ـ أي: لكي يسهل عليه احتلال واحة شنقيط.

وفي سنة 1916 إجابة لطلب المريشال ليوتي عميد فرنسا في مراكش كان سيدي علي ـ صاحب السجادة الرئيس الذي كان قبلي ـ كتب مئة وثلاث عشرة رسالة توصية، وأرسلها إلى الزعماء الكبار وأعيان المغاربة يأمرهم بإعانة فرنسا في تحصيل مرغوبها وتوسيع نفوذها وذلك بواسطة نفوذهم الديني!...

وفي سنة 1925 في أثناء حرب الريف أرسلت أنا ـ حبيبنا ـ المخلص ومريد طريقتنا ومستشارنا المعتبر حسني سي أحمد بن الطالب ـ الذي قرأ هذه الخطبة بلسان سيده ـ إلى المغرب الأقصى، فقام بدعاية كبرى ـ وبروباغندا ـ واسعة في حدود منطقة الثوار، وتمكن من أخذ عناوين الرؤساء الكبار والأعيان الريفيين "والمقاديم" وأرباب النفوذ على القبائل الثائرة، وكتبنا إليهم رسائل نأمرهم فيها بالخضوع والاستسلام لفرنسا، وقد أرسلنا هذه الرسائل إلى "مقدّمنا" الأكبر في فاس، فبلغها إلى المبعوث إليهم يداً بيد.

وبالجملة فإن فرنسا ما طلبت من الطائفة التجانية نفوذها الديني إلا وأسرعنا بكل فرح ونشاط بتلبية طلبها وتحقيق رغائبها، وذلك كله لأجل عظمة ورفاهية وفخر حبيبتنا فرنسا "النبيلة".

والله المسؤول أن يخلد وجودها بيننا لنتمتع برضاها الخالد!. ثم لما ختم خطبته هذه بالثناء العاطر على الموظفين الفرنسيين وعلى الضباط

العسكريين واحداً واحداً، ومدح الوالي العام الحالي ووصفه بأنه "المستعمر الأكبر".

وما إن انتهى الشيخ من خطبته حتى نهض ليوتنان كولونيل سيكوني رئيس البعثة العسكرية وشكر الشيخ وأثنى عليه، ثم قال له: "من كمال مروءتك وإحسانك يا سيدي الشيخ (المرابط) أنك لم تذكر ولا نعمة واحدة من النعم التي غمرتني بها، فأنت الذي أنجيتني من التوارق الملثمين، وأنقذتني من أيديهم... وهكذا جعل الكولونيل يذكر مناقب أخرى للشيخ كثيرة.

ونلفت نظر القراء إلى شيئين إثنين: أحدهما: أن الرئاسة الروحية في هذه الطريقة التجانية هي موجدة في يد الخليفة، وليس لأحد منهم أن يستقل عنه. وأما الثاني: فهو أن دعاة الإصلاح الإسلامي في المغرب (الجزائر وتونس ومراكش) هم اليوم يقفون موقفاً حرجاً للغاية، فهم يحاربون، ويحاربهم دعاة الإباحية والإلحاد، وأهل الجمود والخرافات، ويقاومون في هؤلاء وهؤلاء الاستعمار الغاشم، وما فيه من قسوة وطغيان أ هـ .

ويقول بول أودينو:

"خلال السنين الستين الأخيرة كانت التيجانية تقدّم لنا العون، ومنذ سنة 1911م ونحن نستغل نفوذها القوي في جنوبي الغرب وموريطانيا والريف"([2]).

ويقول روم لاندو:

"وقد خبر الفرنسيون قضية الطرق الصوفية والدور الذي تلعبه مرات متعددة من قبل، وثمة وثيقتان قلما يعرفها الناس تزودنا بالمعلومات الطريفة: أولاهما رسالة بعث بها قبل قرن من الزمن المارشال (بوجو) أول حاكم للجزائر، إلى شيخ التجانية ذات النفوذ الواسع، إذ أنه لولا موقفها المشبع بالعطف لكان استقرار الفرنسيين في البلاد المتفتحة حديثاً أصعب بكثير مما كان.

ويقول المارشال في نهاية الرسالة: عند ما تشعر بحاجة إلى شيء ما أو إلى خدمة من أي نوع كانت فما عليك إلا أن تكتب إلى مرافقي الذي سيسرّه أن يبلغني رغباتك.

ثم قال (روم لاندو): ووثيقتنا الثانية تلقي ضوءاً على طريقة الإقناع أنها إعلان بعث به خليفة التجاني الذي تلقى رسالة المارشال (بوجو) إلى أتباعه بمناسبة الحرب بين فرنسا والأمير عبد الكريم سنة 1925م يدعو فيه إخوانه إلى مؤازرة الدولة المسيحية ضد مواطنيهم من المسلمين. ويقول الشيخ التجاني محمد الكبير بن البشير في هذا الإعلان: أن فرنسا تكافئ على الخدمات التي تقدّم لها... وفرنسا قد انتصرت مؤخراً في حرب (1914م ـ 1919) على واحدة من أعظم دول أوربا وأقواها. ألا ينصر سبحانه ويمنح عباده من يشاء"([3]).

---

[2] ـ تاريخ المغرب في القرن العشرين لروم لاندو ص 143.

[3] ـ تاريخ المغرب ص 140، 141.

وينقل عن جوليان أنه أثنى على الحكومة الفرنسية قائلاً:

"لقد عرفت الحكومة الفرنسية كيف تجمع المتصوفة الذين سوّلتهم وحمتهم"([4]).

فهذه هي إحدى الطرق الصوفية المشهورة في شمال أفريقيا والغرب وبلاد المغرب العربي فصلنا القول فيها لما لها من أهمية ومكانة عند المغفلين والسذج من الناس، ولا زال كثير من الذين أعياهم العلم، وأعماهم التعصب، واستولى عليهم الجهل، وأقعدهم الكسل والبطالة أو أكل أموال الناس بالباطل يعتنقونها ويروجون أباطيلها وينشرون أضاليلها ويؤولون مقولاتها مبتعدين عن الحق حائرين متحيرين، ومن يضلل الله فما له من هاد.

من كتاب " دراسات في التصوف " ص 273 .

[4] ـ أيضاً ص 140.

دراسات : موقف مفكري الإسلام من الشيعة - 6 -

تاريخ المذاهب الإسلامية

الإمام محمد أبو زهرة

هذه سلسلة من البحوث كتبها مجموعة من المفكرين والباحثين عن عقيدة وحقيقة مذهب الشيعة من خلفيات متنوعة ومتعددة ، نهدف منها بيان أن عقائد الشيعة التي تنكرها ثابتة عند كل الباحثين ، ومقصد آخر هو هدم زعم الشيعة أن السلفيون أو الوهابيون هم فقط الذين يزعمون مخالفة الشيعة للإسلام .

هذا البحث كتبه الإمام محمد أبو زهرة في كتابه تاريخ المذاهب الإسلامية .

الراصد

الشيعة

التعريف الإجمالي بهم:

44ـ "الشيعة" أقدم المذاهب السياسية الإسلامية، وقد ذكرنا أنهم ظهروا بمذهبهم في آخر عصر "عثمان" ـ ﷺ، ونما وترعرع في عهد "علي" ـ ﷺ، إذ كان كلما اختلط بالناس ازدادوا إعجاباً بمواهبه، وقوة دينه وعلمه فاستغل الدعاة ذلك الإعجاب، وأخذوا ينشرون آراءهم فيه، ما بين رأي فيه مغالاة، ورأي فيه اعتدال.

ولما اشتدت المظالم على أولاد علي في عهد الأمويين، وكثر نزول الأذى بهم ثارت دفائن المحبة لهم وهم ذرية رسول الله ﷺ، ورأى الناس فيهم شهداء الظلم فاتسع نطاق المذهب الشيعي، وكثر أنصاره.

45ـ وقوام هذا المذهب هو ما ذكره "ابن خلدون" في مقدمته:

"إن الإمامة ليست من مصالح العامة التي تفوض إلى الأمة، ويتعين القائم فيها بتعيينهم، بل هي ركن الدين وقاعدة الإسلام، ولا يجوز لنبي إغفالها، وتفويضها إلى الأمة، بل يجب عليه تعيين الإمام لهم، ويكون معصوماً عن الكبائر والصغائر".

ويتفق "الشيعة" على أن "علي بن أبي طالب" هو "الخليفة المختار" من النبي ﷺ، وأنه أفضل الصحابة رضوان الله ـ تبارك وتعالى ـ عليهم.

ويرى أن من الصحابة من يرى رأي الشيعة في تفضيله على كل الصحابة، وقد ذكر "ابن أبي الحديد" الشيعي المعتدل أن من الصحابة الذين فضلوا عليا عن كل الصحابة "عمار بن ياسر"، و "المقداد بن الأسود"، و "أبا ذر الغفاري" و"سلمان الفارسي" وجابر بن عبد الله" و"أبي بن كعب"، و"حذيفة" و"بريدة" و"أبا أيوب الأنصاري" و"سهل بن حنيف" و"عثمان بن حنيف" , و"أبا الهيثم بن التيهان"، و"أبا الطفيل عامر بن وائلة"، و"العباس

ين عبد المطلب" وبنيه و"بني هاشم" كافة، ويقول "ابن أبي الحديد": و"ابن الزبير" كان من القائلين به في بدء الأمر، ثم رجع عنه، كما يذكر أن بعض "بني أمية" كانوا يرون هذا الرأي ومنهم "سعيد بن العاص".

46ـ ولم يكن الشيعة على درجة واحدة، بل كان منهم الذين غالوا في تقدير علي وبنيه، ومنهم المعتدلون المقتصدون، وقد اقتصر المعتدلون على تفضيله على كل الصحابة من غير تكفير أحد، ومن غير أن يضعوه في درجة التقديس التي يعلو بها على البشر، ولقد قال "ابن أبي الحديد" في المعتدلين منهم:

"وكان أصحابنا أصحاب النجاة والخلاص والفوز في هذه المسألة لأنهم سلكوا طريقاً مقتصداً، قالوا: إنه أفضل الخلق في الآخرة، وأعلاهم منزلة في الجنة، وأفضل الخلق في الدنيا، وأكثرهم خصائص ومزايا ومناقب، وكل من عاداه أو أبغضه فإنه عدو الله ـ سبحانه وتعالى ـ، وخلد في النار مع الكفار والمنافقين، إلا أن يكون ممن ثبتت توبته، ومات على توليه وحبه، فأما الأفاضل من المهاجرين الذين ولوا الإمامة قلبه, فلو أنكر إمامتهم وغضب عليهم وسخط فعلهم، فضلا عن أن يشهر عليهم السيف أو يدعوهم إلى نفسه، لقلنا أنهم من الهالكين كما لو غضب رسول الله وآله، لأنه قد ثبت أن رسول الله قال: "حربك حربي، وسلمك سلمي" وأنه قال: "اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه"، وقال له: "لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق"، ولكنا رأيناه رضي إمامتهم وبايعهم، وصلى خلفهم، وأنكحهم وأكل فيأهم، فلم يكن لنا أن نتعدى فعله ولا نتجاوز ما اشتهر عنه، ألا ترى أنه لما برئ من معاوية برئنا منه، ولما لعنه لعناه، ولما حكم بضلال أهل الشام، ومن كان فيهم من بقايا الصحابة كـ "عمرو بن العاص" و"عبد الله" ابنه وغيرهما، ـ حكمنا أيضاً لهم، والحاصل أننا لم نجعل بينه وبين النبي إلا رتبة النبوة، وأعطيناه كل ما عدا ذلك من الفضل المشترك بينه وبينه، ولم نطعن في أكابر الصحابة الذين لم يصح عندنا أنه طعن فيهم([5]).

المواطن الذي نشأوا فيه وزمان نشأتهم:

47ـ قامت الشيعة ظاهرة كما قلنا في آخر عصر الخليفة الثالث "عثمان" وقد نمت وترعرعت في عهد علي ـ ـ، من غير أن يعمل على تنميتها، ولكن مواهبه كما قلنا هي التي دعت إليه، ولما قبضه الله ـ تعالى ـ إليه، تكونت الفكرة الشيعية مذاهب، منها ما كان فيه مغالاة ومنها ما كان فيه اعتدال كما نوهنا، وهي في كلتا حاليها قد اتسمت بالتعصب الشديد لآل البيت النبوي.

وقد كان العصر الأموي محرضاً على المغالاة في تقدير علي ـ ـ، أن معاوية سن سنة سيئة في عهده وفي عهد ابنه ومن خلفه من الأمويين حتى عهد "عمر بن عبد العزيز"، وتلك السنة هي لعن إمام الهدى علي بن أبي طالب ـ ـ عقب تمام الخطبة، ولقد استنكر ذلك بقية الصحابة ونهوا معاوية وولاته عن ذلك، حتى لقد كتبت "أم سلمة" زوج رسول الله إلية كتاباً تنهاه

---

[5] ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد.

وتقول فيه "إنكم تلعنون الله ورسوله على منابركم، ذلك أنكم تلعنون علي بن أبي طالب ومن أحبه، وأشهد أن رسول الله أحبه" وفوق ذلك فإنه في عهد يزيد قتل "الحسين بن علي" الذي هو وأخوه سيدا شباب أهل الجنة... كما ورد في الأثر ـ قتلة فاجرة، وذهب دمه عبيطاً، من غير أن ترعى حرمة دين. وأخذت بنات "الحسين" وبنات "علي" سبايا إلى يزيد بن معاوية، وهم بنات ابنة النبي ، والعترة النبوية الطاهرة...

رأي الناس ذلك، ولم يستطيعوا تغييراً ولا تحويلا، فكظموا غيظهم وكبتوا نفوسهم واشتد ألمهم، فاندفعوا إلى المغالاة في تقدير أولئك الذين غالى الأمويون في إيذائهم، وهكذا يدفع الكبت العقلي والنفسي دائما، فإنه يدفع المبالغة في التقدير، إذ العطف والإشفاق يدفعان إلى الإكبار والتقدير.

48ـ والشيعة نشأت في مصر ابتداء في عهد "عثمان" إذ وجد الدعاة فيها أرضاً خصبة، وعمت العراق، واتخذته لها مستقراً ومقاما، فإذا كانت "المدينة" و"مكة" وسائر "مدائن الحجاز" مهداً للسنة والحديث، و"الشام" مهداً لنصراء الأمويين فقد كان العراق "مقاماً للشيعة"...

ولماذا كان العراق مهد الشيعة؟.. لقد تضافرت عدة أسباب فجعلته كذلك، فـ "علي بن أبي طالب" أقام به مدة خلافته، وفيه التقى بالناس ورأوا فيه ما أثار تقديرهم، ولم يعلنوا الولاء بقلوبهم للأمويين قط، فرماهم "معاوية" في خلافته "بزياد ابن أبيه" فقضى على المعارضة أن تظهر، ولكنه لم يقتلع جذورها من النفوس، ولما مضى "زياد" استمر ابنه على حكمه من بعده في عهد "يزيد بن معاوية" وصار "العراق" أول المنتقضين على الأمويين حتى استقر الأمر "لبني مروان" في عهد "عبد الملك بن مروان" فرماهم "بالحجاج" فاشتد في القمع، وكلما اشتد قمعه اشتد "المذهب الشيعي" في نفوس معتنقيه.

والعراق فوق تلك ملتقى حضارات قديمة، ففيه علوم (الفرس) وعلوم (الكلدان) وبقايا حضارات هذه الأمم وقد ضمت إلى هذا فلسفة اليونان، وأفكار الهنود، وقد امتزجت هذه الحضارات وتلك الأفكار في (العراق)، فكان المنبت الذي ينبت أكثر الفرق الإسلامية: وخصوصاً ما يتصل فيه بالفلسفة، ولذلك امتزجت بالشيعة آراء فلسفية تتلاءم مع بيئة العراق الفكرية.

وفوق ذلك فإن العراق كان مهد الدراسات العلمية وفي أهله ذكاء، وفيهم تعمق. وقال فيه "ابن خلدون":

"ومما ينقدح لي في الفرق بين هؤلاء القوم وبين العرب الذين حاصروا رسول الله وآله، أن هؤلاء من العراق، وساكني الكوفة، وطينة العراق مازالت تنبت أرباب الأهواء، وأصحاب النحل العجيبة والمذاهب البديعة، وأهل الإقليم أهل بصر وتدقيق ونظر وبحث عن الآراء والعقائد، وشبه معترضى المذاهب وقد كان منهم أيام الأكاسرة مثل "ماني" و"ديصان" و "مزدك" وغيرهم، وليست طينة الحجاز هذه الطينة، ولا لأذهان أهل الحجاز هذه الطينة، ولا لأذهان أهل الحجاز هذه الأذهان".

ونرى من هذا أن العراق كان مزدحم الآراء والمعتقدات من قديم، فكان لا بد أن تنشأ فيه المذاهب السياسية والمذاهب الاعتقادية، فلا غرابة أن تنمو الأفكار الشيعية في بيئته...

أثر الفلسفة القديمة في المذهب الشيعي:

49ـ لا شك أن الشيعة فرقة إسلامية إذا استبعدنا مثل (السبئية) الذين ألهوا "عليا" ونحوهم، لا شك أنها في كل ما تقول تتعلق بنصوص قرآنية أو أحاديث منسوبة إلى النبي ، ولكن مع ذلك اشتملت آراءها على أفكار فلسفية أرجعها علماء العراق والغرب إلى مصادرها من المذاهب الفلسفية والدينية السابقة على الإسلام، والحضارة الفارسية التي انتهت بظهور الإسلام.

فبعض العلماء الأوربيين، منهم الأستاذ "دروزى" يقرون أن أصل (المذهب الشيعي) نزعة فارسية، إذ أن العرب تدين بالحرية، والفرس يدينون بالملك وبالوراثة في البيت المالك، ولا يعرفون معنى الانتخاب للخليفة، وقد انتقل النبي إلى الرفيق الأعلى ولم يترك ولدا، فأولى الناس بعده ابن عمه علي بن أبي طالب، فمن أخذ الخلافة كأبي بكر وعمر وعثمان، فقد اغتصب الخلافة من مستحقها، وقد اعتاد الفرس أن ينظروا إلى الملك نظرة فيها معنى التقديس، فنظروا هذا النظر نفسه إلى علي، وذريته، وقالوا إن طاعة الإمام واجب، وطاعته طاعة الله ـ سبحانه تعالى ـ ([6]).

وقرر بعض العلماء الأوربيين أن "الشيعة" أخذت من اليهودية أكثر مما أخذت من الفارسية، مستدلا بأن عبد الله بن سبأ، أول من أظهر الدعوة إلى تقديس علي كان يهودياً، وقرر هؤلاء أنه مع تلك الآثار اليهودية في المذهب الشيعي فالمذهب الشيعي كان مباءة للعقائد الأسيوية القديمة كالبوذية وغيرها([7]).

50ـ ولعل هذا القول الذي قرر أن هذا المذهب الشيعي استقى من اليهودية بعض مبادئه، قد استفاده الأوربيون من أقوال "للشعبي" وكلام "لابن حزم الأندلسي" فقد كان "الشعبي" يقول عن "الشيعة" أنهم يهود هذه الأمة، وقال "ابن حزم" في الفصل:

سار هؤلاء الشيعة في سبيل اليهود القائلين: إن إلياس ـ عليه السلام ـ وفنحاس ابن ألعازار بن هرون عليه السلام أحياء إلى اليوم، وسلك هذا بعض الصوفية، فزعموا أن "الخضر" و"إلياس" عليهما السلام حيان إلى الآن([8]).

وفي الحق، أنا نعتقد أن الشيعة قد تأثروا بالأفكار الفارسية حول الملك والوراثة، والتشابه بين مذهبهم ونظام الملك الفارسي واضح. ويزكي هذا أكثر أهل فارس إلى الآن من الشيعة، وأن الشيعة الأولين كانوا من فارس.

---

[6] ـ راجع في ذلك فجر الإسلام للأستاذ المرحوم الدكتور أحمد أمين.
[7] ـ السيادة العربية.
[8] ـ الفصل 4 ص 4 ـ س 180.

وأما اليهودية فإذا كانت توافق بعض آرائهم، فلأن الفلسفة الشيعية اقتبست من نواح مختلفة، وكان المنزع فارسياً في جملته وإن استندوا إلى أقوال إسلامية.

والشيعة الحاضرون وأكثر المعتدلين ينكرون أن يكون مثل عبد الله بن سبأ منهم، لأنه ليس مسلماً في نظرهم فضلا عن أن يكون شيعيا، ونحن نوافقهم كل الموافقة.

الإمامية "الاثنا عشرية":

65ـ هذه الطائفة التي تحمل اسم "الشيعة الإمامية" يدخل في عمومها أكبر مذاهب الشيعة القائمة الآن في العالم الإسلامي في إيران والعراق وما وراءها من باكستان وغيرها من البلاد الإسلامية، ويدخل في عمومها طوائف لم تنحرف اعتقاداتها إلى درجة أن تخالف نصاً من نصوص القرآن الكريم أو أي أمر علم من الدين بالضرورة، وطوائف أخرى أخفت اعتقاداتها، وأعمالها لا تدخل في الإسلام على انحراف شديد، وسنشير إشارات موجزة إلى هذه المذاهب.

66ـ والجامع لهؤلاء هو ما تدل عليه التسمية بعبارة "الإمامية" فإنهم يقولون إن الأئمة لم يعرفوا بالوصف كما قال الإمام زيد بن علي ـ ـ بل عينوا بالشخص، فعين الإمام علي من النبي ، وهو يعين من بعده بوصية من النبي ، ويسمون بالأوصياء، فقد أجمع الإمامية على أن إمامة علي ـ ـ قد ثبتت بالنص عليه بالذات من النبي نصاً ظاهراً، ويقيناً من غير تعريض بالوصف، بل بإشارة بالعين قالوا: "وما كان في الدين أمر أهم من تعيين الإمام حتى يفارق ـ عليه الصلاة والسلام ـ الدنيا على فراغ قلب من أمر الأمة، فإنه إذا كان قد بعث لرفع الخلاف وتقرير الوفاق، فلا يجوز أن يفارق الأمة ويترك الناس هملا يرى كل واحد منها طريقاً، ولا يرافقه عليه غيره" بل يجب أن يعين شخصاً هو المرجوع إليه، وينص على واحد هو الموثوق به والمعمول عليه([9])، وعلي هو الذي عين بنص نبوي بذلك.

ويستدلون على تعيين علي ـ ـ بالذات ببعض آثار عن النبي يعتقدون صدقها، وصحة سندها، مثل: "من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه" ومثل "أقضاكم علي" ومخالفوهم يشكون في نسبة هذه الأخبار إلى الرسول .

ويستدل الإمامية أيضاً باستنباطات استنبطوها من وقائع كانت من النبي ، ومنها أن النبي لم يؤمر على "علي" أحداً من الصحابة قط، حينما انفرد عن رسول الله في غزوة أو سرية كان هو الأمير. بخلاف أبي بكر وعمر وغيرهما من كبار الصحابة، فإنهم كانوا أحياناً أمراء وحياناً تكون الإمرة لغيرهم، وليس أدل على ذلك من جيش أسامة الذي أوصى به النبي من بعده فقد كان فيه أبو بكر وعمر، وأنهم يعتقدون أن النبي قد بعثهما في جيش "أسامة" لكيلا ينازعا عليا في الخلافة التي أوصى بها في اعتقادهم.

---

[9] ـ الملل والنحل للشهرستاني.

ويقولون أيضاً عندما جعل أبا بكر أميراً للحج، ونزلت سورة براءة أرسل عليا ليتلوها على الناس في موسم الحج، ولم يجعل ذلك لأبي بكر، مع أنه كان الأمير.

67ـ وهكذا يستدلون على تعيين علي بالذات بأخبار اعتقدوا صحتها، وبأعمال قد اعتقدوا أنها في معنى النص على إمامته ـ ـ، وخالفهم الجمهور في صحة الأخبار، كما قد خالفوهم في صحة استنباطهم من الوقائع المجمع عليها.

وكما اتفق الإمامية فيما بينهم على أن عليا وصي النبي ، بالنص، قرروا أن الأوصياء من بعد علي هم أولاده من فاطمة، الحسن ثم الحسين ـ ـ وهؤلاء هم المجمع عليهم، وقد اختلفوا من بعد ذلك على فرق مختلفة في الأئمة بعد هؤلاء، بل أنهم قد اختلفوا من بعد ذلك على أكثر من سبعين فرقة، وأعظمها فرقتان، "الاثنا عشرية" و"الإسماعيلية".

68ـ يرى الاثنا عشرية أن الخلافة بعد الحسين ـ ـ لعلى زين العابدين، ومن بعده لمحمد الباقر ثم لأبي عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر، ثم لابنه موسى الكاظم، ثم لعلى الرضا، ثم لمحمد الجواد ثم لعلى الهادي، ثم للحسن العسكري، ثم لمحمد ابنه، وهو الإمام الثاني عشر، ويعتقدون أنه دخل سرداباً في دار أبيه "بسر من رأى" ولم يعد بعد، ثم اختلفوا في سنه وقت اختفائه، فقيل كانت سنه إذ ذاك أربع سنين وقيل ثماني سنوات، وكذلك اختلفوا في حكمه، فقال بعضهم إنه كان في هذه السن عالماً بما يجب أن يعلمه الإمام، وأن طاعته كانت واجبة، وقال آخرون: كان الحكم لعلماء مذهبه. وأن هذا الرأي الأخير هو الذي يسير عليه الاثنا عشرية في هذا الزمان.

69ـ والاثنا عشرية يوجدون الآن في العراق، فالشيعة في العراق، وهم عدد كثير يقارب النصف، يسيرون على مقتضى المذهب الاثنا عشري في عقائدهم، ونظمهم في الأحوال الشخصية والمواريث والوصايا والأوقاف والزكوات والعبادات كلها، وكذلك أكثر أهل إيران، ومنهم من ينبثون في بقاع من سوريا ولبنان وكثير من البلاد الإسلامية، وهم يتوددون إلى من يجاورونهم من السنيين ولا ينافرونهم.

وإن الإمامية الاثنا عشرية كسائر الإمامية يفرضون في الإمام سلطاناً مقدساً يأخذه بإيصاء عن النبي ، فكما أن ولايته أمر الأمة كانت بالوصاية، فتصرفاته كلها مشتقة من صاحب هذه الوصاية، وهو النبي ، لذلك يجب أن نذكر سلطانه وحدوده في القوانين والأحكام.

70ـ منزلة الإمام عند "الأمامية":

يقر الأمامية ـ بالنسبة لسلطان الإمام في التشريع والتقنين ـ أن الإمام له السلطان الكامل في التقنين وكل ما يقوله من الشرع، ولا يمكن أن يكون منه ما يخالف الشرع، ويقول في ذلك العلامة الشيخ محمد حسين آل كاشف العطاء:

يعتقد الأمامية أن لله ـ تعالى ـ في كل واقعة حكماً... وما من عمل من أعمال المكلفين إلا ولله فيه حكم من الأحكام الخمسة. الوجوب، والحرمة، والكراهية، والندب ، والإباحة... وقد أودع الله ـ سبحانه ـ جميع تلك الأحكام عند نبيه خاتم الأنبياء، وعرفها النبي بالوحي من الله، أو بالإلهام... وبين كثيراً منها، وبالأخص لأصحابه الحافين به، الطائفين كل يوم بعرش حضوره ليكونوا هم المبلغين لسائر المسلمين في الآفاق {لتكونوا شهداء على الناس، ويكون الرسول عليكم شهيدا}. وبقيت أحكام كثيرة لم تحصل البواعث لقيامها ... وإن حكمة التدرج اقتضت بيان جملة من الأحكام وكتمان جملة، ولكنه ـ سلام الله عليه ـ أودعها عند أوصيائه، كل وصى يعهد بها إلى الآخر لينشرها في الوقت المناسب لها حسب الحكمة من عام مخصص أو مطلق مقيد، أو مجمل مبين، إلى أمثال ذلك، فقد يذكر النبي لفظاً عاماً ويذكر مخصصه بعد برهة من حياته وربما لا يذكره أصلا، بل يودعه عند وصيه إلى وقته([10]).

هذا كلام السيد الجليل الذي اقتبسناه منه، ويستفاد من هذا الكلام ومن غيره أمور ثلاثة بالنسبة للتقنين والأحكام:

أول هذه الأمور: أن الأئمة وهم الأوصياء استودعهم النبي أسرار الشريعة، وأن النبي ما بينها كلها بل بين بعضها، فبين ما اقتضاه زمانه وترك للأوصياء أن يبينوا للناس ما تقتضيه الأزمنة من بعده، وذلك بأمانة أودعها إياهم.

وثانيها: أن ما يقوله الأوصياء شرع إسلامي لأنه تتميم للرسالة فكلامهم في الدين شرع، وهو بمنزلة كلام النبي لأنه من الوديعة التي أودعهم إياها، فعنه صدروا، وبما خصهم به نطقوا.

وثالث هذه الأمور: أن للأئمة أن يخصصوا النصوص العامة، ويقيدوا النصوص المطلقة.

71ـ وإذا كان الإمام له هذه المنزلة بالنسبة للتقنين، فقد قرروا أنه يكون معصوماً عن الخطأ والنسيان والمعاصي، فهو طاهر مطهر لا تعلق به ريبة، وقد أجمع على ذلك "الأمامية"، وصرحت بذلك كتب "الإثنا عشرية" وقد قال "الشريف المرتضى" في كتابه الشافي:

"قد ثبت عندنا مخالفينا أنه لا بد من إمام في الشريعة يقود بالحدود وتنفيذ الأحكام... وإذا ثبت ذلك وجبت عصمته. لأنه لو لم يكون معصوماً وهو إمام فيما قام به من الدين لجاز وقوع الخطأ منه في الدين، ولكنا إذا

---

[10] ـ أصل الشيعة وأصولها ص 29.

وقع الخطأ منه مأمورين باتباعه فيه، والاقتداء به في فعله، وهذا يؤدى إلى أن نكون مأمورين بالقبيح على وجه من الوجوه، وإذا فسد أن نكون مأمورين بالقبيح وجبت عصمة من أمرنا باتباعه والاقتداء به في الدين"([11]).

ويقررون أن عصمته ظاهرة وباطنة، وأنها قبل أن يكون إماماً، وبعد توليه الإمامة، ويقول في ذلك "الطوسى" وهو شيخ من شيوخهم: "إنه لا يحسن من الحكيم ـ تعالى ـ أن يولى الإمامة التي تقتضى التعظيم والتبجيل من يجوز أن يكون مستحقاً اللعنة والبراءة في باطنه، لأن ذلك سفه، وكذلك إنما يعلم كونه معصوماً فيما تقدم من حاله قبل إمامته، بأن يقول إذا ثبت كونه حجة فيما يقوله، فلا بد أن يكون معصوماً قبل حال الإمامة، لأنه لو لم يكون كذلك لأدى إلى التنفير عنه، كما نقول ذلك في الأنبياء ـ عليهم السلام ـ "([12]).

72ـ وإن الأمامية يجوزون أن تجري خوارق العادة على يد الإمام، لتثبت إمامته، ويسمون الخارق للعادة الذي على يديه معجزة، كما يسمى الخارق الذي يجري على يدي أنبياء الله تعالى معجزة.

ويقولون: إنه إذا لم يكن نص على إمامة الإمام من الأئمة وجب أن يكون إثبات الإمامة بالمعجزة. ويقول "الطوسي" شيخ الطائفة في عصره: العلم به (أي بالإمام) قد يكون بالنص تارة وبالمعجزات أخرى، فمتى نقل الناقلون النص عليه من وجه يقطع العذر فقد حصل الغرض، ومتى لم ينقلوه وأعرضوا عنه، وعدلوا إلى غير، فإنه يجب أن يظهر الله ـ تعالى ـ على يديه علماً معجزاً يبينه من غيره ويميزه عمن عداه ليتمكن الناس من العلم به والتمييز بينه وبين غيره([13]).

73ـ والإمام عند الأمامية قد أحاط علماً بكل شئ يتصل بالشريعة كما أشرنا، وبالحكم الذي عهد به إليه، ويقول في ذلك الطوسي "إنه قد ثبت أن الإمام إمام سائر الدين، ومتولي الحكم في جميعه، جليله ودقيقه، وظاهره وغامضه، وليس يجوز ألا يكون عالماً بجميع الأحكام، وهذا صفته لأن المتقرر عند العقلاء قبح استكفاء الأمر وتوليته من لا يعلمه".

وإن ذلك العلم المحيط ثابت بالفعل لا بالإمكان، ولا بالاجتهاد، أي أنه علم لدني ثابت، لا أنه ممكن أن يعلم ويقضي أو يجتهد فيعلم ويقضي، كما هو الشأن عند غيره من العلماء، وذلك لأن إمكان العلم الاجتهادي هو من قبيل العلم الناقص، فهو جهل في الابتداء ثم تعلم وعلم في الانتهاء، والإمام لا يجوز أن يكون جاهلا بشيء من أمور الدين والشريعة في وقت من الأوقات.

والحكم بان علمهم علم إحاطة نتيجة حتمية لقولهم: إن الأوصياء أودعوا العلم من لدن الرسول بما يكفل بيان الشريعة، فعلمهم وديعة نبوية، وهم معصومون من الخطأ.

74ـ وإن الإمام ليس وجوده ضرورياً فقط لبيان الشريعة وتتميم ما بدأ الرسول ببيانه، بل هو أيضاً ضروري لحفظ الشريعة وصيانتها من الضياع

---

[11] ـ الشافي للشريف المرتضى ص 40 طبع حجر بفارس.
[12] ـ تلخيص الشافي للطوسي ص 319.
[13] ـ تلخيص الشافي للطوسي ص 310 طبع فارس على حجر.

فهو يتمها ويحميها، وهو القوام على الشريعة بعد النبي ـ ـ ويحافظ عليها ويصونها. ويمنع عنها التحريف والزيغ والضلال، وأن تتحكم فيه الآراء المردية. إذ هو حجة الله القائمة إلى يوم القيامة، كما قال علي بن أبي طالب، ـ كرم الله وجهه ـ: "لا يخلو وجه الأرض من قائم بحجة إما خفياً مغموراً، وإما ظاهراً مستورا" والوصي عندهم هو القائم بحجة الله وإنه بعصمته التي توجب طاعته والاقتداء به ـ يكون الدين محفوظاً إلى يوم القيامة.

وإن النبي يقول: "لا تجتمع أمتي على ضلالة". وعدم اجتماع الأمة على الضلالة هو الذي يجعل الدين محفوظاً إلى يوم القيامة. ويقولون إنه من الجواز العقلي يجوز أن تجتمع الأمة على الضلال، ولكن المعصوم وهو الإمام الوصي عندهم ـ هو الذي يرشدها، ويهديها ويقيها من أن تجتمع على الضلالة، فأهل الأديان الأخرى قد اجتمعوا على ضلالة لعدم وجود المعصوم عندهم، ولأن شريعتهم ليست خاتم الشرائع، أما شريعة محمد فهي خاتم الشرائع، ولابد من وجود المعصوم ليحميها ويقيها من الضلالة إلى يوم القيام([14]).

75ـ هذه إشارات موجزة إلى منزلة الإمام عند الأمامية فاثنا عشرية، ويظهر أن الأمامية جميعاً على رأيهم في هذا النظر، وليس الإمام ومقاربته لمقام النبي عندهم موضع خلاف، فإنهم يصرحون تصريحاً قاطعاً بأن الوصي لا يفرقه عن النبي إلا شيء واحد، وهو أنه لا يوحى إليه.

وإن القارئ لهذا الكلام الذي اشتمل على دعاوى واسعة كبيرة لشخص الإمام لم يقم دليل على صحته والدليل قائم على بطلانه، لأن محمدا أتم بيان الشريعة فقد قال ـ تعالى ـ: {اليوم أكملت لكم دينكم} ولو كان قد أخفى شيئاً فما بلغ رسالة ربه وذلك مستحيل، ولأنه لا عصمة إلى لنبي، ولم يقم دليل على عصمة غير الأنبياء.

[14] ـ أشار إلى هذا الشريف المرتضى في عدة مواضع من كتابه الشافي الذي رد به على قاضي القضاة.

الوحدة الإسلامية
والتقريب بين أهل المذاهب
الأستاذ زهير الشاويش

هذه تجربة أحد الذين اهتموا بالتقريب بين المذاهب ، صدرت من شخصية سنية سلفية سياسية معاصرة . إن الشيخ زهير الشاويش وعلى الرغم من علمه بعقائد الشيعة نجده يشارك في مؤتمرات التقريب بذهن منفتح، راغب في التقريب والتقارب الحقيقي ولكنه مع ذلك لا ينخدع بالشعارات.

وهو في هذه الدراسة _ وهي محاضرة ألقيت في مركز البيان الثقافي في بيروت وطبعها المركز فيما بعد في كتاب عام 1998بعنوان (الوحدة الإسلامية و التقريب بين أهل المذاهب) _ يقدم رؤية سنية للتقريب تستند إلى " بقاء أصحاب كل مذهب على مذهبهم ، إلا ما يجدوه هم بأنفسهم غير مبني على دليل شرعي" .

كما تطالب هذه الرؤية كل فريق " بعدم استفزاز الآخر ، وأن تكون دعوته له بالحكمة والموعظة الحسنة ".

وثمة ملاحظات هامة يثيرها الشيخ الشاويش وهي إقصاء أهل السنة في إيران من المشاركة في هذه المؤتمرات التي تستضيفها بلادهم ؟! وعدم دعوة علماء وفقهاء من أهل السنة والاكتفاء بمن وصفهم بـ " رجال فكر وزعامات سياسية وإصلاح اجتماعي" من خارج إيران ! ونبه على الإهمال الشديد الذي تعاني منه مناطق السنة التي قام بزيارتها مع وفد رسمي إيراني وهو الأمر الذي ما زال على ما هو عليه رغم مرور سنوات طويلة على زيارة الشيخ الشاويش لإيران (كما يظهر ذلك من رسالة "النواب السنة" في البرلمان الإيراني حول أوضاع أهل السنة في إيران المنشورة في هذا العدد من الراصد في جولة الصحافة).

وفيما يلي نص حديث الشيخ الشاويش الذي لا يخلو من اللغة الهادئة والدبلوماسية، لكنها لا تخفى مراميها على المتابع المتخصص الذي يستطيع قراءة ما بين السطور.

الراصد

.. أجد أن علي أن أطرح سؤالاً على نفسي وعلى من ينادي بالوحدة الإسلامية مثلي، ويريدها بأقرب وقت. وهو:

كم هو الأمل عندك في حصول الوحدة؟؟

فأقول: إن تفرقنا كان على مراحل، وسوف نعود أيضاً على مراحل وخطوات.. ويوم أن تفككت وحدتنا أصابتها عوامل متعددة دينية، وسياسية، داخلية، وخارجية... واستمر الانشقاق، وارتفعت الخصومات، وأحياناً اشتعلت الحروب.

واليوم ورثنا هذا الركام من الخلافات المنوعة أيضاً.

كما ورثنا رغبات صادقة من الآباء وممن سبقنا للوحدة والتقارب بعد أن أحسوا جميعاً بالخسارة العامة، وقد استجاب نفر كريم من علماء الأمة ومفكريها إلى هذا المؤتمر، الذي انعقد في إيران.

وكان قد سبقهم إلى الدعوة إلى تلك الوحدة بين المذهبين عدد كبير من المصلحين في السير على هذا الطريق، ومنهم المسرع ومنهم المتئد... مع اختلاف الوسائل وسبل عرض الموضوع([15]).

وأحب ـ الآن ـ أن أغلب حسن الظن عندي على سواه، حتى في الذين كتبوا ودعوا إلى التقارب بأسلوب نبش الماضي، وإثارة الخلافات... ظناً منهم أن ذلك من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن أقوالهم وكتبهم تجعل التقارب على قواعد سليمة مبنية ـ على ما فهموا ـ من الكتاب والسنة وأقوال العترة.. أو ما تقتضيه الحكمة والعقل والوحدة المتينة.

وقد كان في المؤتمر بعض هؤلاء.

بل قد توسع بعضهم ـ في المؤتمر وقبله ـ إلى الدعوة لجعل المسلمين كلهم مذهباً واحداً في الدولة، والحكم، والعقائد، والفقه، ومختلف الأمور. وكانت له حجته، وهي حق في أصلها، ولكنه ابتعد عند الواقع فذهبت دعوته مع الريح.

ونحن اليوم ندعو إلى بقاء أصحاب كل مذهب على مذهبهم. اللهم! إلا ما يجدوه هم بأنفسهم غير مبني على دليل شرعي، وليس فيه أي نفع حسي لهم في دينهم ودنياهم، فيقلعوا عنه وهذا عائد لهم، وفيه الخير لهم.

وعلى هذا مشى الذين عرفناهم في مجال التقريب ودعاته السابقون مع تعدد أقوالهم والاختلاف الجزئي فيها، أمثال:

السيد محسن الأمين، والسيد رشيد رضا، والمجتهد الحكيم النجفي، والشيخ كامل القصاب، والشهيد نواب صفوي، المرشد حسن البنا، والمشايخ: محمد التقي القمي، وعبد المجيد سليم، وعلي المؤيد، وأمجد الزهاوي، والبشير الإبراهيمي،والسيد موسى الصدر، والحاج أمين الحسيني ـ رحمهم الله ـ .

وذكر هؤلاء مني على سبيل المثال، وإلا فهناك العشرات غيرهم.

وكلنا يعلم بأن المسلمين اختلفوا وتقاتلوا، منذ عهد الصحابة رضي الله عنهم جميعاً، ولكن كانت دولتهم واحدة، سوى فترات قصيرة، والفتوى بينهم على طريقة واحدة، وهذه كتب الحديث والفقه والتاريخ شاهدة على ذلك.

واليوم نحن ندعو ونكرر إلى عدم طلب: ذوبان فريق في الفريق الآخر.. لأن هذا مستحيل الآن، وفي المستقبل المنظور.

---

[15] ـ وأنا وإن ذكرت المعوقات فإن وحدتنا قادمة ولن يقف في وجهها التعصب القومي، والأنظمة الاقتصادية، ولا الإيديولوجيات المستوردة. فإنها لن تكون المعوقات في المستقبل.وهذا الاتحاد السوفيتي انهار أمام أعيننا، وما أن أزاله الله حتى رجع المسلم إلى مسجده، وكل ذي دين إلى دينه.

ولكن الممكن: أن يترك كل فريق منا استفزاز الفريق الآخر، وأن تكون دعوته بالحكمة وبالتي هي أحسن.. فلا نرى ـ بعد الآن ـ التحرش من أحدنا بالآخر، ولا نسمح بالطعن بمن يعظمه بعضنا، ولا نبش الماضي.

وللصوفية كلمة جميلة نافعة: **"ذكر الجفا، وقت الصفا، من الجفا".**

وسؤال آخر أطرحه على نفسي وهو:

كيف يمكن توحيد الأمة، وتقريب المذاهب، وهذه الكتب والمقالات، والمواقف تملأ الساحة، وفيها من عرض وجهات النظر المختلفة ما فيها... وأكثرها ـ إن لم أقل كلها ـ مشبهة بالمنفر من القول؟؟

فأقول: والله ! ما طرقت هذا الموضوع، إلا عندي منذ زمن بعيد مئات الكتب ـ أو الألوف ـ من كتب الفريقين.. وفيها المكفر، والمضلل، والمجهل، والشاتم، واللاعن، لكل ما عند الطرف الآخر، أو بعض ما عنده من: رجال، وكتب، وحديث، ومواقف.. إلخ.

وما اطلعت عليه منها وجدت في بعضه الحق، أو شبهة حق تمسك فيها من نقلها.. بعد أن أضاف إليها مما عنده من موروثات، وما دفعته إليه العصبية والهوى([16]).

ولكن هل تبقى المواقف البائدة تتحكم فينا، فنكون أحياء يحكمهم الأموات والقبور.

لا والله!! ما هذا اللائق بالعقلاء، وأهل الإيمان، والغيرة على الإسلام والمسلمين.

ومما شجعني على الدخول في هذا المشروع الخطير ما عرفته من كلام ربنا جل شأنه، وحديث رسولنا صلى الله عليه وسلم، وكلام علمائنا من الصحابة الكرام ـ ومنهم آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ـ ومن تبعهم بإحسان إلى يومنا هذا.

وآخره ما سمعته من مرشد الجمهورية الإسلامية وقائدها الخامنئي عقب المؤتمر من خطبته الوداعية للوفود.

فقد تكلم بما ماثل وشابه ما قُدم للمؤتمر، من دعاة التقريب، وما بحث وأقر في المؤتمر.

ولقوله أهمية كبرى عند أحد قسمي الأمة التي نريد توحيدها، وتقريب مذاهبها.

وفي كلام رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية الشيخ هاشمي رفسنجاني في افتتاح المؤتمر. فقد كان كلامه عن الوحدة والإشادة بكل دول العالم الإسلامي، وإعذاره لهم عن مواقفهم ـ مع الاختلاف معهم ـ ودعوتهم للوحدة والاتحاد، كان كلام رجل دولة، يعرف ما يقول، وكانت كلمته معبرة عما يجيش في صدر كل مؤمن بوجوب وحدة المسلمين.

---

[16] ـ وفي بعضه تحميل كلام الخصم ما لا يحمل!! إن لم أقل غير ذلك.

وأقول: بأن كل كلام يمكن أن يؤول، أو يحمل على خلاف ما يريد صاحبه.. أو يحرف من الناقلين، أو يساء فهمه من السامعين!

ولكن ما لنا ولهذا، نحن نريد دفن الماضي... والبناء من جديد على السليم من عقائدنا، والمتفق عليه فيما بيننا.

والمؤتمر مع أنه مؤتمر شعبي فقد لقي التأييد الواضح من القائد الخامنئي، ومن رئيس جمهورية إيران، وبعض الرسميين.

وقد حمل مندوب سورية الدكتور الشيخ إبراهيم حسن النقشبندي تحيات سورية قيادة وحكومة وشعباً، كما حضر حفل الافتتاح السفير السوري.

وحضر ممثلون عن كبريات الجماعات الإسلامية في العالم مثل الباكستان، والهند، والمملكة الأردنية الهاشمية، والمملكة المغربية، والجاليات في أوروبة وأمريكا.

ومثل الجماعة الإسلامية في لبنان سعادة الدكتور النائب فتحي يكن، وكان لمذكرته ومداخلاته وكلمته باسم كل المشاركين في المؤتمر الأثر الطيب النافع الهادف. كما حضر من لبنان القاضي الدكتور مصطفى الرافعي، وحال مرضه دون متابعة المناقشات بما هو مأمول منه لعلمه واطلاعه.

وفي المؤتمر جرت المداولات بحرية حول النقاط الكبرى، ولم يُدخل في التفاصيل لضيق الوقت، وللرغبة في اللقاء على الأهداف ما أمكن.. غير أن بعض الحضور أدخل في كلامه جزئيات أوجبت الرد عليها وتوضيح المواقف منها.

وهذه الجزئيات كانت ـ في حقيقتها ـ من التاريخ الماضي الذي كلنا شكونا منه، ونراه سبب تفرقنا وتقطيع إخوتنا الدهور الطويلة!! وكان في كلام ومداخلات الدكاترة فتحي يكن، وفاروق النبهان، وعدنان البخيت، محمد القيسي، والشيخين النقشبندي والمدني([17])، وفي مشاركتي ردُّ الحق إلى نصابه، ووضع الأمور في مجراها الطبيعي.

وكان الفضل في أكثر ذلك إلى القيادة الحكيمة التي تولاها الأمين العام لمجمع التقريب سماحة الشيخ محمد واعظ زاده الخراساني، وسماحة الشيخ التسخيري.

وقد لاحظنا غياباً سنياً رسمياً، وانعدام علماء وفقهاء المذاهب، المراد التقارب معها!!، مما دعاني للبحث مع المسؤولين عن المؤتمر في ذلك الأمر، فتقرر إقامة مؤتمر فرعي في منطقة أذربيجان الغربية في بلدة (أورمية) الحدودية. وضم هذا المؤتمر عدداً كبيراً من علماء الأكراد (الشافعية) والأتراك، والبلوخستان، والتتار، والتركمان (الحنفية) والعجم (الشيعة). ووجدت هناك بين المشاركين والزوار بعض السلفيين الأثريين من خريجي المعاهد في سورية، والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة([18]).

---

[17] ـ وهو عالم متمكن من بلوخستان، وهو موظف كبير في الرئاسة الدينية في الجمهورية الإيرانية.

[18] ـ فقلت لهم: يا مرحباً برائحة الأهل.

وفي هذا المؤتمر الفرعي كانت الأبحاث أوضح وأصرح لمشاركة أهل البلاد فيها، ومعرفتهم بأمور بعضهم بعضاً. وكان من نتيجة ذلك، أن رافقنا إلى طهران عدد كبير من أهل السنة والجماعة، وشاركونا في جلسات المؤتمر. وفي نهاية المؤتمر استقبلهم مرشد الجمهورية الإيرانية بحضور رئيس الجمهورية ورئاسة القضاة وعدد من القيادات، وبحث معهم شؤون مناطقهم ومذاهبهم([19]).

وكانت الرحلة إلى أذربيجان موفقة بفضل الله، ذهبت إليها مع مفتي الحسكة، والشيخ آية الله معرفتي، وهو من أعقل الناس، ورغبته في تقريب المذاهب واضحة جلية صادقة، والدكتور محمد حسن عميد كليات الإلهيات، ومعنا الشيخ آية الله جنابيتي وكانت الآراء التي طرحها ـ باللغة الفارسية وقصور في الترجمة، مع أنه ورفاقه يحسنون العربية ـ محل ردات فعل عاجلة وسريعة من علماء تلك المناطق.

ثم كان في كلامي المتواضع تصويب المسار، وتصحيح ما أثاره والتقريب بين وجهات النظر، ولكلمة فضيلة الشيخ النقشبندي الصدى المستحسن، والحمد الله.

وقد وجدنا من العلامة الشيخ الموسوي مندوب القائد في المنطقة ومن سعادة المحافظ وباقي علماء الشيعة، التجاوب الكبير.

وحضر معنا نواب المنطقة في البرلمان الإيراني ومجلس الشورى، من الأكراد طوال الوقت، وكان لهم المشاركة والرأي في كل القضايا التي جرى تداولها.

الأمر الذي دعاني لعقد الأمل على تجمعهم ووحدتهم في تلك المناطق التي أخرجت بطل الإسلام الكبير السلطان الفاتح صلاح الدين الأيوبي الكردي الذي حرر القدس وأكثر فلسطين، ووحد الأمة. وأستاذه الممهد له الحاكم العادل التقي نور الدين محمود زنكي التركي .. لأقول لهم من كلام طويل:

أنتم يا سكان هذه المنطقة عليكم الأمل معقود معكم في تحرير فلسطين مجدداً، كما حررت على أيديكم سابقاً.

ودعوتهم إلى التمسك بمذاهبهم، والتعاون مع إخوانهم، فإن الذوبان يضيع المقومات. ودعوتهم إلى العلم والتعلم في العقائد والفقه، وجميع العلوم([20]).

بقي أن أقول لكم: بأن مناطقهم ما زالت مناطق حربية، فالطرقات مخربة، والمطار منسوف، والسلاح ظاهر مكشوف!!

وانتقلنا من طهران إلى مطار حربي قرب مدينة تبريز بطائرة حربية من مطار حربي قريب من طهران، ثم قطعنا مسافة 100 كيلومتر في

---

[19] ـ وقد مشرت الصحف أخبار تلك المقابلة، وعلمت أن فخامة رئيس الجمهورية زار منطقتهم بعد أسبوعين، وافتتح في (أورمية) عدداً من المدارس الشرعية، وتم إصلاح المطار، واجتمع مع زعماء الأكراد، لتوحيد الجهود ومنع الاقتتال، وممن بحث معهم في (أورمية) الزعيم البرزاني. وفي طهران الزعيم الطالباني.

[20] ـ كما بحثت معهم ومع الإدارة مدهم بكتب العلم من الحديث والفقه.

سيارات وعبر طرقات شبه معبدة، وركبنا بعد ذلك في عبارة بالبحيرة لمدة نصف ساعة، وهي بحيرة كبيرة طولها (125) كيلومتراً، وماؤها ملح أجاج ولا حياة فيها، تشبه البحر الميت. وبعدها مشينا في طرق ترابية (60) كيلومتراً.

ومن واجبي ـ الآن ـ أن أشكر الحكومة الإيرانية على ما أتاحته لنا في هذه الزيارة من الاجتماع بإخواننا أهل السنة والجماعة في مناطقهم الأصلية، والحديث معهم بحرية وصراحة.

وأقول لكم: إن المقررات لا تشمل تماماً كل ما جرى في المؤتمر! فإن بعض الأبحاث لم نتوصل فيها إلى نتائج تصاغ في فقرات[21] ولكنها بُحثت، وسمع كل فريق ما عند الفريق الآخر، وما لم يقبله ويتفق عليه أخذ بعين الاعتبار.

ووجدت آراء كل فريق مؤيداً بل مؤيدين لها من الفريق الآخر ـ السني أو الشيعي ـ وهذه القضايا اجتمع لها ما لا يقل عن خمسين عالماً إخصائياً بعلم ما من إخواننا الشيعة الكبار، وكل واحد منهم بمنزلة (مجتهد) و(حجة) في العلوم الشرعية[22]

أما الذين شاركوا فيها من أهل السنة فهم ـ في الغالب ـ رجال فكر، وزعامات سياسية، وإصلاح اجتماعي[23] .

---

[21] ـ ولعل أكبر سبب هو غياب فقهاء المذاهب السنية.

[22] ـ ومنهم على سبيل المثال الباحث الصلب الحجة مرتضى العسكري، صاحب المؤلفات الكثيرة، وقد أنست بمجالسته، مع التباعد والاختلاف في الرأي.

[23] ـ ولعل طريقة عقد المؤتمر لم تظهر ما عندهم من علم شرعي أو حديثي وفقهي.

كتاب الشهر

الحركات الباطنية في العالم الإسلامي

د . محمد أحمد الخطيب

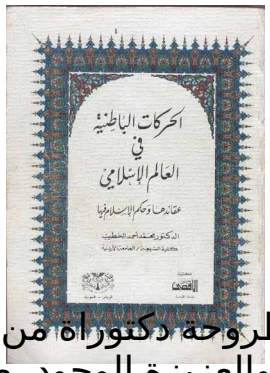

هذا الكتاب في الأصل أطروحة دكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود، وهو من الكتب القيمة والعزيزة الوجود، صدرت الطبعة الأولى منه عام 1984م عن مكتبة الأقصى بعمان .

والكتاب يقع في 480 صفحة من القطع الكبير ويتكون من تمهيد حول التأويل الباطني وكيفية دخوله على الإسلام، وأربعة أبواب .

وأهمية الكتاب جاءت من كونه بحثا متخصصا،صاحبه من القلة المتخصصة بالفرق والمذاهب، فرسالته في الماجستير كانت عن فرقة الدروز، وله عدة أبحاث أخري في عقائد الشيعة كالعصمة وهذا الكتاب الذي نتناوله بالعرض بحث مستوعب لحركات الغلو الشيعي التي اعتمدت السرية في عقائدها وهي :

- الإسماعيلية و القرامطة حيث خصص الباب الأول لدراستهما .
- الدروز وخصص لهم المؤلف الباب الثاني من كتابه .
- النصيرية التي استغرقت الباب الثالث .

أما الباب الرابع فكان عن أثر الحركات الباطنية في واقع العالم الإسلامي .

وسبب اهتمام المؤلف بالموضوع هو كما عبر عنه : " لم يكن أحد يتوقع أن يأتي يوم يجهل فيه المسلمون حقيقة هذه الحركات وتتغير مفاهيمهم حولها فاذا بالكثير من المسلمين – جهلا منهم – ينظر بعين الود إلى هذه الحركات على أساس أنها من جملة المذاهب الفقهية وإذا ببعض هذه الحركات قد أصبح مع الأسف تتولى مقاليد الأمور في بعض البلاد الإسلامية.

بل اضحت بعض هذه الحركات – في مثل هذه البلاد – نموذجا يقتدى به و يدعى اليه فيلقن تاريخ القرامطة و الحشاشين للنشىء الجديد على أنه تاريخ يعتز به ومثل يفتخر به ."

وسنستعرض أهم النتائج التي خلص لها الدكتور محمد أحمد الخطيب في التمهيد حول الباطنية وكيفية تسربها للجسد الإسلامي :

•الفكر الباطني هو الإفراز الطبيعي للعداء اليهودي للإسلام والذي لا يمكنه أن يواجه بوضوح وصراحة .

•لجأ الفكر الباطني لكل الأفكار الوثنية والفارسية والنصرانية واليهودية بحسب إنتماء ودين المؤسس .

•ليس الفكر الباطني بجديد بل هو قديم عرف في اليهودية حين أولوا التوراة على أسس الفلسفة الافلاطونية الحديثة وقالت بها أيضا طائفة القبالة اليهودية .

•من رؤوس الباطنية ابن سبأ و المختار بن أبي عبيد و أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية و بيان بن سمعان والمغيرة بن سعيد العجلي و أبو منصور العجلي و أبو خطاب الأسدي والمفضل الجعفي وميمون القداح وغيرهم .

• كان لحركة الترجمة من اليونانية إلى العربية زمن المأمون العباسي أثر كبير في انتشار الباطنية لأن الأفلاطونية الحديثة كانت هي المصدر الأساس للتأويل الباطني للنصوص في الكتب السماوية .

•من المصادر الهامة للفكر الباطني في الفكر الإسلامي أيضاً الباطنية العرفانية كالصابئة و الثنوية و المانوية والديصانية و الهرمسية .

•هناك صلة قوية بين التقية و الباطنية القديمة منذ زمن افلاطون الذي كان يعتمد السرية في فكره، فقد كان يورد الفكرة الواحدة بعدة عبارات مختلفة أو متناقضة وسار على ذلك من بعده الباطنيون القدماء .

هذه أهم النتائج التي توصل لها الدكتور محمد الخطيب في التمهيد .

وأما في الباب الرابع والذي كان بعنوان : أثر الحركات الباطنية في واقع العالم الإسلامي فقد خلص فيه الدكتور الخطيب إلي ما يلي :

1. كان هدف الحركات الباطنية هو هدم الخلافة الإسلامية واعلان الإمامة الشيعية .
2. لفشل هذه الحركات في الوصول إلى هدفها تسترت بغطاء فكري ديني يعتمد التأويل والتحريف للإسلام .
3. تطور الغطاء الفكري للباطنية حتى شمل الفلاسفة والصوفيين ووصل للقول بوحدة الأديان .
4. لا يزال الكثير من دور النشر تنشر الكتب الباطنية وكذلك مؤسسات الإسماعيلية وغيرها في أمريكا وأفريقيا .
5. كان للباطينية أثر هدام في المجتمع الإسلامي بنزع الثقة من بين الناس ونشر الخوف والتحسس من أقرب المقربين مما أعاق مقاومتهم .
6. عملت الباطينية على نشر الإنحلال في المجتمع الإسلامي ليسهل اختراقه .
7. سعت الباطينية لقتل العلماء حتى يمكن لها الإنتشار .

8. بتمكن الباطنية من اقامة دول حصل انقسام في القوة الإسلامية تجاه الأعداء مما سهل للأعداء من الإستيلاء على كثير من أراضى الإسلام .

9. كان التحالف مع الأعداء ضد المسلمين هو الوضع الطبيعي للباطنيين.

وهذا العرض الموجز لا يغني عن قراءة الكتابً لما فيه من الفوائد، والترتيب في عرض عقائد الباطنية بطريقة مميزة .

قالوا

فرنسا حزينة لـ "آلام الحلاّج"

قالوا: "بدعم من وزارة الخارجية الفرنسية والسفارة الفرنسية في لبنان... صدر حديثاً الجزء الأول من كتاب "آلام الحلاّج" للباحث الجهبذ لويس ماسينيون. أصبح الحلاج في الأسطورة الإسلامية، عند الشعراء العرب والفرس والترك والهندوس والماليزيين نموذجاً لـ "العاشق الكامل" لله بعد أن حكم عليه بالصلب لسكرته في صيحة الحال: "أنا الحق".

صحيفة الدستور 15/2/2005

قلنا: ليست هذه المرة الأول التي تنبري فيها دولة غير إسلامية لنشر فكر الصوفية. أمر غريب أن تحزن فرنسا لـ "آلام الحلاج".وأمر غريب أن يبادر الراعي الروحي للجمعيات التنصيرية الفرنسية في مصر لويس ماسينيون إلى نشر تراث الصوفية والإسماعيلية ، أم أن ثمة علاقة خفية بين التصوف والتنصير.

كذّاب جديد يدّعي النبوة

قالوا: "ذكر تقرير إخباري أن السلطات اعتقلت رجلاً يدعي ذكر الله في إقليم سولاويسي بوسط أندونيسيا لادعائه أنه نبي مسلم متهمة إيّاه بانتهاك القانون الجنائي الذي يحظر إثارة الفتنة والبلبلة بين المؤمنين بالأديان.

وكان (ذكر الله) بنى أيضاً نسخة من الكعبة في منزله، وقال لمريديه إنه يمكنهم أداء مناسك الحج في منزله بدلاً من التوجه إلى مكة".

وكالة الأنباء الألمانية 17/2/2005

قلنا: موضة المدّعين للنبوة أصبحت رائجة، فكلما هلك كذاب، جاء آخر.

منشد صوفي في "هلا فبراير"

قالوا: أعلنت شروق عبد الرزاق الصانع، رئيسة اللجنة الثقافية لمهرجان (هلا فبراير) 2005 الذي انطلقت فعالياته بالكويت عن مشاركة المنشد العالمي سامي يوسف، وهو مواطن بريطاني من أصول أذربيجانية في فعاليات المهرجان، حيث إنه سيحيي ليلة مليئة بالإنشاد الروحي والفكري في الكويت".

الأهرام العربي 5/2/2005

قلنا : ما هو القاسم المشترك الذي يجعل هذه المهرجانات تتسابق على"المنشدين" والفرق الصوفية في برامجها السياحية!؟

مخدرات وزيارة العتبات

قالوا: "ألقت قوات شرطة الحدود العراقية في محافظة العمارة... القبض على خمسة متسللين إيرانيين في محاولة لاجتياز الحدود العراقية والوصول إلى مركز المحافظ. وذكر مصدر مخول في قيادة شرطة العمارة.. أن المجموعة المتسللة مؤلفة من ثلاثة رجال وامرأتين يحملون معهم كمية من الحشيشة، وأفادوا خلال التحقيق الأولى بأنهم يرمون لزيارة العتبات المقدسة في كربلاء".

الشرق **الأوسط 23/2/2005**

قلنا: هل لأن زوار العتبات زبائن مهمون لهذا الصنف!؟

أول الغيث قطرة

قالوا: لا قدسية لصحابي ولا عصمة له ومن حقنا أن نقيم تصرفاتهم السياسية سلباً أو إيجاباً"

د. عبد الحميد الأنصاري

العميد السابق لكلية الشريعة في قطر

الراية القطرية 30/1/2005

قلنا: نخشى أن تكون هذه الأفكار مقدمة للانتقاص من الصحابة أو سبهم، وحينها يكون الأنصاري وأمثاله قد وقعوا في الشباك الشيعية.

خدعة التقريب مرة أخرى

قالوا: "ندوة التقريب بين المذاهب تختتم فعالياتها.. وهدفت الندوة التي استمرت يومين بمشاركة عدد من الدول العربية إلى ترسيخ مفهوم التقارب بين المذاهب الإسلامية وتأكيد وحدة الأمة الإسلامية"

وكالة بترا 30/1/2005

قلنا: إلى متى يظل أهل السنة مقتنعين بأن هذه المؤتمرات ستحقق التقريب المنشود. إن عقوداً طويلة مرت على مؤتمرات التقريب دون أن تؤدي بالشيعة إلى ترك ما هم عليه من باطل.

السنة لا بواكي لهم

قالوا: "تمثيل السنة في العراق هو أساسي لتحقيق الأمن ولاستقرار"

الناطق الرسمي باسم الحكومة الأردنية

العرب اليوم 15/2/ 2005

قلنا: يبدو أنه لا حياة لمن تنادي، فالبعض رأى أن إقصاء السنة من أن يكون لهم دور في وطنهم حلماً قد حان وقت تطبيقه.

المنخدعون بحزب الله

قالوا : "حذر الإخوان من خطورة تأثير التداعيات التي تشهدها الساحة الداخلية للبنان على حركة المقاومة، وأكدوا على ضرورة الحفاظ على أوراق حزب الله الذي يمثل أحد الدروع الواقية في مواجهة الآلة العسكرية الصهيونية".

بيان أصدره النائب الأول لرئيس جماعة الإخوان المسلمين محمد حبيب

وكالة الصحافة الألمانية 1/3/2005

قلنا: إلى متى تظل بعض هيئات وجماعات أهل السنة تعتقد بأن حزب الله أحد الدروع الواقية في مواجهة الصهاينة. وهل من الصعب لهذا الحد معرفة الدور الحقيقي الذي يقوم به الحزب؟!

صور خامنئي في البحرين

قالوا:" السيد خامنئي مرجع ديني لكنه أيضا في الوقت نفسه زعيم سياسي والقائد الأعلى للقوات المسلحة في إيران. وأن يرفع مواطنون بحرينيون صوره على هذا النحو، فإن هذا يطرح تساؤلات عميقة حول مسألة الولاء".

مسؤول بحريني

وكالة الصحافة الفرنسية 8/3/2005

قلنا : هذه لحظة صدق مع الذات عبر فيها شيعة من البحرين عن حقيقة ولائهم السياسي تجاه إيران حامية المذهب وليس تجاه بلدهم الذي ينتمون إليه! فهل يعي المعنيون هذه الحقيقة؟

القضية العراقية في الوعي الدعوي

محمد أحمد الراشد ، مجلة الإسلام اليوم العدد الأول - ذو القعدة 1425 هـ

يستطيع الداعية المسلم المخضرم ـ وبنظرة بسيطة ـ أن يسمح لنفسه بالتفاؤل العريض بعد دهر طويل من استيلاء أنواع من مشاعر الأسف عليه، فرضتها أفعال أعداء الإسلام تجاه الدعوة والتضييق الذي مورس عليها في العالم أجمع، ومبعث هذا التفاؤل أن الدعوة استطاعت ـ بحمد الله تعالى ـ أن تجتاز المصاعب، ونجحت في تثبيت جيل واسع من الدّعاة على الدّرب، وأجّجت فيهم معاني التحدي الذي هو أساس التربية الدعوية، ثم يلمس المتتبع لحال الدعوة الآن أنها انعطفت باهتمامات جيل الصحوة انعطافاً إيجابياً مهماً نقلته من التعميم إلى التخصيص، ومن الارتجال إلى التخطيط، وصارت القناعة تأّمة في جيل الصحوة الحاضرة بأن الفوضوية يجب أن تضع لنفسها حداً لصالح المنهجية، وأن الرؤية المرحلية المحدودة ينبغي أن توغل في النظر الاستراتيجي البعيد الذي يصل إلى عمق المستقبل واستشرافه، وبات من المؤكد أن بقاء الدعوة الإسلامية في حلبة الصراع الشديد في العصر الحاضر متعلق بتحقيق نقلة تربوية وتخطيطية، ونقدية تفي بحاجاتنا، تستطيع الدعوة بوساطتها أن تشغل الطاقات الشبابية الزاخرة المضيئة بمعاني الخير والإيجاب والحيوية، وأن تضع القيادات الواعية في أيادي هذه الطاقات مجموعة من الرؤى النقدية التربوية والسياسية، وما يكمل من ضمان الاستثمار المالي الاقتصادي المعين على تحقيق الآمال.

ومثل هذه الخلجات النفسية التي تراود أنفس الدعاة القدماء وما يوازيها من خلجات أنفس الصاعدين الجدد كانت تجد نفسها في كثير من الأحيان في حالة ترقب المبادر مبدع يبدأ ترجمة الآمال إلى واقع وإلى وصايا،وإلى دراسات متخصصة، ونظرات متكاملة تتخذ لها من الثوابت حارساً، ومن طموحات مناهج الإبداع وسيلة لامتلاك قلوب جيل الصحوة، وحلمة على التفاعل مع هذه الطموحات، وإني لأجزم بأن الذي ينقص جيل الصحوة هو التوغل البعيد في دراسة المعاني الأصولية والتقعيد، وفي استلال التجارب ونقد الواقع والتاريخ، ثم في استعارة أنواع من القواعد الإدارية والتخطيطية من التراث العالمي، وتضيف ذلك في منهجية مرنة تمنح التربية الدعوية في المرحلة القادمة فائدة أكثر وتأثيراً أكبر، وتستطيع أن تجد للمعضلات السياسية والموازنات المصلحيّة تأويلا شمولياً ينتقل بالنظرات الفردية إلى صياغة موازين يتواطأ الدعاة على الاعتراف بها، ثم الالتزام بها وتحكميها، وجعلها أقرب إلى أن تكون ثوابت ملحقة بالثوابت الشرعية.

ومن الأمثلة الواضحة حالياً على حاجة الدّعاة لدراسات متعمقة متأنية عقلانية غير عاطفية فهمُ سلوكيّات الدعوة الإسلامية في العراق في مرحلة الاحتلال الأمريكي أمام حشد من المتناقضات التي تعج بها الساحة، فواضح أن العراق يعيش حالة انقسام مذهبي وقومي، وأن التيارات السياسية فيه عديدة ومتعادية بعنف أحياناً، وأن الطبيعة الثورية في السياسة العراقية

جعلت لجوء الأطياف المتصارعة إلى استعمال السلاح والاغتيال أمراً مألوفاً، فوق ما هنالك من تأثيرات إقليمية من دول مجاورة تقدم نشاطات مخابراتها في الأرض مقام أحزاب، وأطياف تزيد الوضع إشكالاً وغموضاً وصراعاً، فمثل هذه الحالة المتشابكة لا يفهمها غير عراقي فهماً يستطيع أن ينافس فهم الداعية العراقي الذي يعمل في الساحة ويتعامل مع أشياء ومؤثرات لا تُكتب، ولا يُصرح بها يجهلها من هو خارج العراق.

ومن هنا فإن التقدير الصحيح للموقف يحتاج مقادير من تفويض الدعاة في أقطار الأمة الإسلامية لإخوانهم داخل العراق أن يختاروا ما يناسبهم، وأن يحسنوا الظن بهم، وبموازنتهم المصلحية وبتقديراتهم للضرورات التي تُلجئهم في ظاهر الأمر إلى خلاف ما يرغب به كل داعية مسلم، ومثل هذا الحال من استغراب غير العراقي للاختبارات الدعويّة العراقية يثير ألماً في نفوس دعاة العراق الذين يكتوون بنيران متعددة داخلية هي أشد حماة من نيران المستعمر الأمريكي، بل أتاحت مواقع الإنترنت وسهولة الدخول إليها مجالاً خصباً لكل ناشئ لم ينضج بعد أن يكيل التهم الجُزاف ـ وربما المسبة ـ لدُعاة العراق الذين يناورون ويحاولون الالتفاف الذكي على منغصات اجتماعية وسياسية تواجههم، وقد يزايد هؤلاء الشباب المستعجلون على قدماء الدعاء العراقيين، ويتقدمون لهم بمواعظ تدعوهم إلى توبة وإلى رؤية بدهيات تجاوزها الداعية من أول سنة من سنوات تربيته الدعوية، وفي مثل بيئة نجد والحجاز حيث تسود العقيدة السلفية النقية، يكون استغراب السلوك الدعوي العراقي أكثر وأقوى تبعاً لظاهر النصوص التي يلجأ إليها التوجه السلفي، لكن لو علم هذا التوجه السلفي بطبيعة التوجه الدعوي العراقي لكان أقرب إلى حسن الظن، وإلى التأول لدعاة العراق، وذلك لأن التوجه الغالب في الطبيعة الدعوية العراقية هو التوجه السلفي أيضاً، وإن سُمّيت المجموعة الدعوية الكبرى باسم آخر غير اسم السلف، مما هو امتداد للدعوة العالمية الواسعة.

فمنذ نشأة هذا التوجه الدعوي العراقي بعد الحرب العالمية الثانية كان سلفي المعتقد، واتخذ له من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية ثم ابن القيم منهجاً تربوياً واضحاً، وتتلمذ جيل التأسيس ـ آنذاك ـ الذين هم قادة الدعوة اليوم على مشايخ السلف العراقيين كأمثال فضيلة الشيخ عبد الكريم الصاعقة، وعبد الوهاب ملوكي في بغداد، وعلى مشايخ آخرين في (الزبير) من أصول نجدية، وعلى أفاضل من علماء السلف في الموصل أودعوا في مثل شخصية محمد محمود الصواف ـ رحمه الله ـ ميلاً سلفياً واضحاً، ثم ما كان من أثر الدكتور محمد تقي الدين الهلالي المغربي ـ رحمة الله ـ في ترويج المفهوم السلفي في العراق والتفاف الجيل الدعوي الأول حوله لسنين طويلة خلال مدة إقامته في العراق، ولهذا فإن قادة الدعوة اليوم في العراق حين يتخذون مواقفهم السياسية يكون منهم استحضار للنصوص الشرعية ولاختيارات أئمة السلف القدماء يتوازى تماماً مع استحضار جيل السلف الحاضر في نجد والحجاز، وما هو ببعيد عنه، والفرق ينحصر في أن العراقي تحيطه ضرورات يكتوي بنارها، وتقوم عنده موازنات يذهل عنها غير العراقي، فيفتي العراقي نفسه بشيء مغاير لرغبات من هو بعيد عن الساحة.

فماذا نقول ـ مثلاً ـ في جهاز الدولة الذي يُعاد تأسيسه في زمن الاحتلال؟! أيليق بجمهرة الدعاة أن تقاطع الوظيفة الحكومية ليحتكرها المنافس فقط؟ وهل يليق بمثل هذا التعفف أن تُترك القوات المسلحة من جيش وشرطة واستخبارات ليحتكرها المنافس أيضاً؟ فالقول بالمفاضلة والتعالي على التعامل مع المثل الأمريكي يجعل الطاقات الواسعة المتاحة عبر الوزارات والقوات المسلحة والجامعات موظفة توظيفاً كاملاً ضد التوجه الإسلامي النقي في العراق، ويجعل لإيران مكانة واسعة في الانتفاع من هذا الصدود والعمل بحرية، ويتيح للأفكار المتطرفة أن تهزم أصحاب الكفر الإسلامي الصحيح، وفي هذه النتائج السلبية ما يحمل دعاة الإسلام على التفاؤل والرضى بأقل الشرين عند العامل من أجل الالتفاف على المصاعب. ويزداد ذلك وضوحاً إذا علمنا أن الإدارة الأمريكية جاءت إلى العراق بدون تصور واضح عن طبيعة المجتمع العراقي وتناقضاته، وترى فيها أكثر من مدرسة وأكثر من تأوّل وهو ما جعل هذه الإدارة تتخبط أول مجيئها عبر ظنها وجوب الاقتراب والتعاون مع خطوط ترتضيها إيران، من اجل كسب إيران أيضاً وتحييدها والشعور بعدم الحاجة إلى الدخول في صراع معها إذا رضيت بهذه الخطة الأمريكية، ولكن ما حدث وآل إليه الآمر بعد سنة من الاحتلال أودع قناعة أخرى لدى الأمريكان بأن هناك حقائق عراقية تدعو إلى ضرورات الموازنة وحفظ حقوق العراقيين جميعاً، وزادت المقاومة العراقية العنيفة من هذه القناعة في نفوس صناع القرار الأمريكي، وأنهم لا يستطيعون تجاوز حقائق الصراع العراقية، فماذا عسى داعية له ظاهر الأمر يعيش خارج العراق أن يدرك من هذه التحولات وأسبابها وحجم تأثيرها في المعادلات العراقية؟

نحن نزعم أنه لا يفهم الكثير من ذلك مهما بلغ من علم أو اطلاع على تصريحات السياسيين ومن نُقُول إعلامية، فهناك دائماً وراء التلال مالا يراه إلا شخص محلي أو معرفة ما كان وراءها في الماضي البعيد والقريب، فيشرع بتخمينات عن طريق القياس تقربه من معرفة ما لا يراه، وهذه صنعة يحتكرها العراقي، وما هو بمبتكر ولا زاهد في وصايا إخوانه، وفي تحليلات يمكن أن يهديها له دعاة يعيشون في العالم الواسع، ولكن إهداء هذه التحليلات يعين ويقرب لدى العراقي الرؤية الكاملة الشاملة، ولا تستطيع أن تحمل هذه التحليلات العراقية، إذ هي ظن فقط، على أن يلغي ما تراه عينه أو تلمسه يده أو ما قارب الدقة من قياساته التي يبنيها على تراثه التجريبي الخاص.

إن هذا المثل للقضية العراقية وملابساتها ولحاجة الوعي الدعوي العام إلى قول عراقي فيها، يعطينا قناعة بأن صنعة إتقان اكتشاف الوعي الدعوي والسياسي بخاصة في مرحلة ما بعد التعميم إنما هي صنعة مهمة لا يزال ينتظرها الكثير من التفصيل والقول التخصصي، وكذلك هي بحاجة إلى ثقة بقدماء الدعاة وقولهم، ثم بحاجة إلى أن يفوض جيل الصحوة قادتهم مساحة كبيرة من القول يكون فيها تأوّل المخضرمين نافذاً، وكل ذلك هو ما أرجو أن يتيحه صدور مجلة (الإسلام اليوم) وأنها ستكون نافذة للاطلاع على مكنون تراث تجريبي واسع تحويه صدور المشايخ والمربين وساسة المسلمين، وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: "إذا حدثتم عن

رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حديثاً فظنوا به الذي هو أهيأ، والذي هو أتقى، والذي هو أهدى".

ولرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ المثل الأعلى ولكن هذا الميزان الصائب يتيح لنا أن نقول لدعاة الإسلام كافة: إنكم إن بلغكم عن دعاة الإسلام في العراق شيء وموقف ترون فيه غموضاً أو تنازلاً أو تميعاً، فظنوا بهم الذي هو اتقى وأهدى، فإنهم ـ إن شاء الله ـ على نصيب من العلم، ويتقدم في مناصب الرئاسة فيهم مشايخ أفاضل وأساتذة لهم من علم الأصول نصيب، ومن التجريب مقدار، والعلماء ورثة الأنبياء، فيسوغ إجراء مثل هذا القياس، ولا نزكي أنفسنا ولا أحداً من إخواننا تزكية مطلقة، وإنما أردنا الإشارة إلى أن أمرنا يقوم على اجتهاد تعترف به القواعد الشرعية، فإن أصبنا فذلك فضل من الله، وإن أخطأنا فمن أنفسنا ومن الشيطان، لكن يجب دعاة العراق أن يسمعوا من إخوانهم ـ وهم في المرابطة وفي الخندق وتحت وطأة النازلة الأمريكية الكبرى ـ كلمات التشجيع وحسن الظن والدعاء.

إيران بعد الانتخابات العراقية.. إلى حصار أم انفراج؟

د. محمد السعيد إدريس ، مختارات إيرانية العدد 55 فبراير 2005

انتهت الانتخابات النيابية العراقية وأعلنت النتائج وأكدت أنه ليس هناك من هو فائز بالمطلق في هذه الانتخابات إلا العراق. هنا يفرض سؤال مهم نفسه هو: هل يمكن اعتبار إيران شريكة في هذا الفوز وإلى أي حد؟

هذا السؤال يفرض نفسه لأن هناك وجهة نظر أخرى ترى أن احتمال سيطرة أصدقاء إيران على السلطة في بغداد قد لا يكون خيراً بالمطلق لإيران بل يمكن أن يفتح أبواب الشرور مجتمعة خصوصاً وأن أحد هذه الأبواب أضحى مشرعا بالكامل ونقصد باب، إن لم يكن بوابة، العداء الأمريكي ـ الإسرائيلي لإيران.

لقد أعلنت النتائج وكشفت عن فوز أصدقاء إيران في العراق من الشيعة والأكراد معا بالأغلبية النسبية (48% + 26% = 74% أي أكثر من الثلثين بكثير بل أقرب إلى ثلاثة أرباع المجلس الوطني المنتخب)، نتيجة هائلة؟!

ربما لكن التدقيق في النتائج وفي مجمل الوضع السياسي العراقي يطرح الكثير من التحديات التي من شأنها التقليل من أهمية هذه النتائج. ويمكن رصد بعض النقاط المهمة التي تؤكد هذا الاستنتاج هي:

1ـ أن اللائحة الشيعية التي يدعمها المرجع الشيعي الأعلى في العراق السيد علي السيستاني (الائتلاف العراقي الموحد) لم تستطع الحصول على الأغلبية المطلقة (50%+1) بل حصلت على 48% وهو ما سوف يحد كثيرا من قدرتها على توجيه العراق نحو السياسات التي تريدها بل إن هذه السياسات ستكون حتما محصلة مساومات مع الكتل والأحزاب الأخرى.

2ـ أن مشاركة حوالي 59% فقط ممن لهم حق الانتخاب في العملية الانتخابية التي قاطعها السنة العرب وشارك فيها بكثافة كل من الشيعة والأكراد في ظل حالة غير مسبوقة من التحفيز والإثارة تكشف أن نسبة الـ 41% التي لم تصوت يمكن إرجاعها إلى السنة العرب بل ربما تكون نسبة السنة العرب أكبر من ذلك لأن أعدادا منهم شاركت فعلا في الانتخابات وكانت أدنى مشاركة انتخابية للسنة هي 2% في محافظة الأنبار.

وإذا كان الأكراد حصلوا على ما يقرب من 26% من الأصوات وهؤلاء أغلبهم من السنة فإن نسبة السنة العراقيين قد تتجاوز وفقا لتلك الإحصائيات 65% من أبناء العراق بما يعني أن الشيعة العراقيين (سواء من العرب أو الأكراد "الفيليين") لا يزيد عددهم عن 35% فقط وليس كما تروج إحصائيات أخرى أنهم 60% من أبناء العراق.

هذه النسبة التي كشفها التصويت في الانتخابات قد لا تكون دقيقة تماما بالنسبة لعدد السكان ولكنها مؤشر مهم ينفي ما يروج بأن الشيعة العراقيين هم أغلبية السكان في العراق بل إن السنة هم الأغلبية إذا أخذنا

في الاعتبار أن الأكراد ينتمي أكثر من 90% منهم إلى السنة ولكن للأسف ولأسباب سياسية يقسم العراق على أساس طائفي وعرقي معا لإظهار أن السنة هم الأقلية فيقال أن غالبية العراقيين من: الشيعة والسنة والأكراد. والأصح أن العراقيين أغلبهم من المسلمين السنة والشيعة أو نقول أن العراقيين أغلبهم من العرب (سنة وشيعة) والأكراد (سنة وشيعة) إضافة إلى الأقليات الأخرى: الآشورية والتركمانية والكلدانية والمسيحية.

هذه الحقائق تقول أن الانتخابات الأخيرة جاءت لتضع النقاط فوق الحروف بالنسبة للتركيبة السكانية للعراق وجاءت أيضاً لتضع حدودا لمسائل سياسية مثل مسألة الولاء السياسي أو التوجه السياسي الخارجي الذي حاول البعض أن يقول: إذا تركت حرية الاختيار للشعب العراقي فإنه سوف يختار أن يكون حليفا وصديقا لإيران نظر لأن الشيعة هم الأغلبية. صحيح الشيعة نسبة كبيرة من أبناء الشعب العراقي وصداقات إيران لا تقتصر عليهم بل تمتد إلى الأكراد أيضاً لكن ليس كل الشيعة منخرطون في أحزاب دينية شيعية وليست كل الأحزاب الشيعية الدينية تسعى لإقامة نظام حكم ديني على غرار نظام الجمهورية الإسلامية الإيرانية لسبب رئيسي هو أنها ليست قابلة لمبدأ ولاية الفقيه فضلا عن أن التركيبة السكانية للشعب العراقي لن تسمح بفرض مثل هذا النظام إذا أراد الشيعة ذلك.

3ـ أن مستقبل العراق لن يقرره الذين شاركوا في الانتخابات وحدهم بل سيكون للسنة حق الفيتو على الدستور الجديد الذي يعتبر المهمة الرئيسية للمجلس الوطني الذي انتخب دون مشاركة من العرب السنة.

هذا الفيتو اكتسبه السنة بمحض الصدفة رغم أنف الأمريكيين الذين وضعوا الدستور المؤقت في عهد حكم بول بريمر للعراق والذي يتضمن نصا يفرض موافقة ثلثي الناخبين في 16 محافظة من أصل 18 محافظة يتكون منها العراق على الدستور الجديد وكان الغرض هو منح الأكراد حق الفيتو على أي دستور لا يرضون عنه حيث أنهم يتركزون في ثلاث محافظات شمالية. والآن بات في مقدور السنة الذين يتركزون في محافظات كثيرة أن يحولوا دون إقرار دستور لا يقبلونه بالتصويت ضده في محافظاتهم ومن ثم لا يحصل ذلك الدستور على موافقة الـ 16 محافظة التي هي الشرط الأساسي لإقراره.

4ـ أن الصراعات السياسية ستكون عنيفة في الأيام القادمة لصعوبة الشروط الموضوعة في الدستور المؤقت لاختيار مجلس الرئاسة (الرئيس ونائبيه) حيث تفرض موافقة ثلثي المجلس الوطني على أي اختيار للمجلس وفي ظل الصراعات الراهنة حول منصب رئيس الجمهورية حيث يطالب الأكراد بهذا المنصب لشخص جلال طالباني متجاوزين ما تم التوافق عليه في التجربة السابقة التي جعلت رئيس الجمهورية عربيا سنيا ورئيس الوزراء عربيا شيعيا ورئيس المجلس الوطني كرديا. الصراع الأعنف سيكون حول منصب رئيس الحكومة حيث يتنافس إبراهيم الجعفري رئيس حزب الدعوة مع مرشح المجلس الأعلى للثورة الإسلامية ومع أحمد الجلبي.

هذه الصراعات سوفي تسئ كثيرا إلى علاقات التحالف الانتخابية وتؤثر سلبا على وحدة مواقف هذه القوى بما يضعف موقف الجميع وهو ما سوف ينعكس حتما على الحليف (الإيراني).

5ـ أنه على الرغم من كل من يقال عن ضرورة إشراك العرب السنة في وضع الدستور فلم تتحدد بعد كيفية ولا آليات تحقيق هذه المشاركة خصوصا في ظل الشرط الذي وضعته هيئة كبار العلماء السنية لمشاركة السنة وهو وضع جدول زمني لانسحاب قوات الاحتلال من العراق وهو شرط لا يقدر عليه فرقاء الانتخابات وربما لا يوافق أغلبهم عليه الأمر الذي يزيد من تعقيد الأوضاع. هذه النقاط تؤكد على حقيقة مهمة وهي أنه لا مستقبل للعراق دون وفاق وطني حول هذا المستقبل بين كل أبنائه.

والوعي بهذه الحقيقة سوف ترتب عليه نتيجة مهمة وهي أن يعود القرار العراقي ليصبح وطنيا عراقيا عندها لن يكون أمريكيا ولن يكون إيرانيا.

أتصور أن هذه النتيجة ستكون في صالح إيران لأنها سوف تهدئ من روع كل الذين هالهم الحديث عن "فورة" شيعية في العراق سوف تفيض على كل الدول المجاورة وبالذات دول مجلس التعاون الخليجي المجاورة التي توجد بها أقليات شيعية قوية وفورا تم تجيير هذه الفورة لصالح إيران وبدأ البعض يتحدث عن هلال شيعي تقوده إيران يمتد من إيران إلى شاطئ البحر المتوسط مرورا بسوريا ولبنان.

هذا المناخ بدأ ينعكس سلبيا على الموقف الإقليمي لإيران وزاد من مخاوف دول الجوار إزاء السياسات الإيرانية في وقت تواجه فيه إيران خطر عدوان أمريكي ـ إسرائيلي.

في الأيام الأخيرة من شهر يناير الماضي قام جون بولتون مساعد وزير الخارجية الأمريكي لشئون ضبط التسلح بجولة في عدد من دول مجلس التعاون شملت البحرين والكويت والإمارات كان الهدف منها تحريض دول المنطقة ضد إيران من خلال ترويع هذه الدول من خطر التفوق التسليحي الإيراني وعزم إيران على امتلاك أسلحة نووية. بولتون صرح في المنامة (20/1/2005) قائلا بالنص: "على الرغم من أن إيران لا تمثل تهديداً مباشرا للولايات المتحدة ولا تستطيع أن تشن هجوماً على الولايات المتحدة لكنها تستطيع مهاجمة أصدقائنا وحلفائنا في المنطقة". وأوضح بولتون أن الهدف من جولته هو "تبادل وجهات النظر في التهديد الذي يعتقد أن طهران تشكله بسبب برنامجها النووي وصواريخها بعيدة المدى القادرة على حمل رؤوس نووية.

في ظل هذا المناخ التحريضي الأمريكي ضد إيران في المنطقة لن يكون من مصلحة إيران أن يتم الترويج بأن الانتخابات العراقية سوف تحول العراق إلى قاعدة انطلاق شيعية في المنطقة فحدوث ذلك معناه وضع إيران ضمن حصار إقليمي لا تقبله ولا تريده بل هي تريد العكس وفق ما عبر كمال خرازي وزير الخارجية الإيراني لميشال بارنييه وزير الخارجية الفرنسي أثناء جلوسهما متجاورين في قمة شرم الشيخ وقبالة كولن باول

وزير الخارجية الأمريكي (السابق). فقد قال خرازي وفقا لبارنييه أن "إيران ترغب في أن يتم الاعتراف بها كشريك مهم في المنطقة".

هذه الرغبة لن تتحقق في ظل تورط إيران في سياسات استفزازية ضد دول المنطقة والعراق أهم بؤر الاستفزاز الإيرانية ولحسن الحظ جاءت نتيجة الانتخابات متعادلة ودافعة للوفاق الوطني العراقي ويصعب تصويرها على أنها اختراق إيراني للعراق وهذا بدوره مصلحة إيرانية في مقدورها تحقيق انفراج في العلاقات الإقليمية الإيرانية.

الإفراز الديمقراطي للعراق

أسامة سرايا

الاهرام العربي 5 قبراير 2005

أعترف بأنني مازلت في موقف محير أو ملتبس, فهل الانتخابات العراقية هي أول تحرك إيجابي للعراقيين لفرض وجودهم منذ الاحتلال؟ أم أنها العقدة الأخيرة التي ستفك النسيج الديني والعرقي في العراق وتبدأ الأمور بعدها في الانزلاق نحو حرب متبادلة؟!
أعتقد جازما بأنه لا سبيل إلي الإجابة عن هذا السؤال, مهما ملكت من أدوات التحليل وعمق الرؤية, ولا سبيل أمامنا مع كل ما يلف أحداث العراق من مخاوف وآلام إلا أن نتماسك, ونترقب, ونجعل كل عيوننا مفتوحة ترنو إلي ما بعد الانتخابات.

مع الاعتراف والرد السريع والحاسم علي كل المقولات بأننا أمام الديمقراطية الأولي في منطقتنا. فإننا نقول لأصحاب هذا الرأي اهدأوا تماما, فنحن أمام ديمقراطية من نوع خاص لا نعرف كنهها أو حقيقتها, فهي ديمقراطية غامضة.

فلأول مرة تجري انتخابات لا يستطيع الناخبون أو الأغلبية العظمي منهم التعرف إلي أسماء المرشحين, خوفا من اعتداءات المتمردين والرافضين للعملية الانتخابية, فاضطر بعض المرشحين إلي الاختفاء وكأنهم مرشحون بلا وجوه, أو أسماء, أو برامج أو أهداف محددة, فبدت وكأنها حالة غائمة.

فنحن نعرف أن الديمقراطية هي إحدي مفردات وآليات الدولة الحديثة, تستخدم لبنائها, لكننا وجدناها هنا تستخدم لبناء دولة طائفية, وندرك أن ديناميات العملية الانتخابية هدفها تحقيق الالتحام الوطني, وأنها وسيلة للاختيار الحر, لكنها في الحالة العراقية الراهنة تستخدم للتأسيس لدولة تقوم علي أسس طائفية, وبدلا من استخدامها كوسيلة لاختيار القيادات والتحام النسيج الاجتماعي, فقد جرت هنا للطلاق بين التحالفات, وبدلا من الالتحام بين فسيفساء المجتمع العراقي, إذا بالانتخابات(ربما أكون مخطئا وأتمني من قلبي ذلك) تصبح قطار الغرب السريع للتقسيم وربما تفتيت وطن موحد, بين عراق للأكراد(كردستان) وعراق للشيعة(فيدرالية الجنوب) وسنة محاصرون في مثلث الموت الدموي.
وقد سألني سائل: كيف تسقط مخاوفك علي يوم العراق الديمقراطي؟ وكيف يكون تاريخيا وحاسما؟ فقلت علي الفور: الإجابة سوف تؤجل إلي ما بعد الانتخابات وكيف سيتصرف المنتصرون؟ فهم يتحولون من حكومة مؤقتة إلي حكومة تحت الاختبار, ومن حكومة بلا شرعية سوي شرعية الاحتلال إذا جاز التعبير, إلي حكومة ربما تبحث عن الشرعية.
ولن تجدها إلا بخمسة شروط:

أولها: احتواء كل أبناء العراق والحفاظ علي هويته العربية.

ثانيها: إنهاء الاحتلال وعودة السيادة.

ثالثها: عدم تقسيم العراق بحجة احترام الفيدراليات والحد من اتساع الانقسام الطائفي والإثني.

رابعها: وضع حد لعمليات الإرهاب والتطرف والقضاء علي الزرقاوي وما يمثله بأيد عراقية وإنهاء تدخل الاحتلال في الشأن العراقي الداخلي.

خامسها: محاكمة النظام السابق ـ بعدالة وسيادة القانون ـ لتكون هذه المحاكمة خاتمة عادلة للظلم والبطش والاستبداد في التاريخ العراقي الحديث.

وحتي لا نكون مبالغين, فلنعترف بأن الوضع العراقي الداخلي بعد سنوات الديكتاتورية والحروب والحصار ثم الاحتلال, لا يمكن أن يفرز الوضع الديمقراطي المنشود أيا كان شكله, أو توقعاتنا عنه, إلا أن هذا المولود في كل الحالات صعب القراءة, غير معروف الجنس, أو اللون أو الطعم, أو المستقبل الذي يمثله.

ولكن بما أن الانتخابات أسعدت شعبا وأخرجته من حالة الكآبة والخوف لساعات أو لأيام, فيجب أن نحترمها, فبالرغم من فوضويتها, إلا أنها تشير إلي جذب العراقيين أو حتي محاولتهم إخراج بلدهم المنهار من جهنم.

وتبقي هناك تساؤلات عديدة: ماذا سيفعل الحكام الجدد؟ فهل يكون الشيعة تابعين لشيعة إيران وتحقق الأخيرة أهدافها في المنطقة بالحرب الأمريكية في العراق, وهو ما عجزت عن تحقيقه في حربها هي مع العراق؟ ثم ماذا سيفعلون مع السنة في العراق أولا؟!
نحن ـ إذن ـ أمام حالة جديدة دولة شيعية عربية لأول مرة منذ انهيار الفاطميين في القاهرة عام1171.

وتستمر التساؤلات: هل يركب شيعة وملالي إيران قطار أو حصان شيعة العراق. لتبديد استقرار المنطقة ويكونون جناحا آخر لتطرف بن لادن والزرقاوي لتصرخ المنطقة من الحالة الجديدة؟ كل شيء ممكن في هذا العالم الصعب, ومتاح, ولا نعرف جميعا ماذا ينتظرنا فالمخاوف ليست قليلة, ماذا سيكشف العراق لنفسه وللعرب في المرحلة القادمة؟!
ما الذي تخفيه المتغيرات والأوضاع الجديدة للعالم, فالاستخدام الأمريكي الطائش للقوة في العراق لم يكشف عن كل أخطائه بعد, هل يدفع الغرب والأمريكيون ثمن الخطأ الكبير بتسليم المنطقة للدولة الدينية والمتطرفين معا ويهربون بجلدهم من الجحيم الذي ينتظرنا جميعا؟
الواقع يقول لنا إنه عندما تدفع القوة المجتمعات والدول عنوة للسقوط والارتداد من دولة استبدادية إلي دولة دينية فإنها بذلك تفتح المجال للإرهاب والتطرف.
ماذا سيحدث في العالم وفي المنطقة الحاضنة للبترول؟ كنا نتصور أن الانتخابات سوف تقلل من حجم التساؤلات والمخاوف فجاءت النتيجة عكسية تماما, زاد كل شيء وقل الأمن والأمان, ولايزال العراق لم يصدر

الديمقراطية ولا نعرف ما الذي نستورده منه حتي الآن, أو ما تداعيات الحرب الأمريكية في العراق؟

يارب استر.

الحرس الثوري الإيراني ودورة في تصدير الثورة

مختارات إيرانية العدد 54 يناير 2005

اتهمت نيابة أمن الدولة العليا الحرس الثوري الإيراني بتجنيد محمود دبوس المواطن المصري من مدينة السويس لإرسال معلومات عن مصر والسعودية، والإعداد للقيام بعلميات تخريبية في مصر والسعودية، من خلال محمد رضا حسين دوست الموظف الإداري بمكتب رعاية المصالح الإيرانية بالقاهرة، مما يجعل من الضرورة بمكان التعريف بحراس الثورة الإيرانية ودورهم في تصدير الثورة الإسلامية.

يقول الخميني عن حرس الثورة: لو لم يكن حراس الثورة ما كانت الدولة، إني أوقر الحراس وأحبهم وعيني عليهم، فلقد حافظوا على البلاد عندما لم يستطيع أحد. ومازالوا، إنهم مرآة تجسم معاناة هذا الشعب وعزيمته في ساحة العركة وتاريخ الثورة (جمهوري إسلامي في 15/ 1/ 1984) ويقول هاشمي رفسنجاني رئيس مجمع تحديد مصلحة النظام الإيراني في بيان دور الحرس الثوري: إن جيش حراس الثورة الإسلامية الذي تشكل من أكثر الأشخاص تجربة ونضجا، عليه مسئولية المحافظة على منجزات الثورة ودستورها، لقد كان دور الحراس مؤثرا في إحباط كل مؤامرات القوى الاستكبارية ضد الثورة، سواء في أعمال التخريب أو التضليل أو جبهات القتال، كما قاموا بدور كبير في رفع الروح المعنوية للجماهير، وكان دورهم الفني أهم من دورهم العسكري، وقد غطى جهازهم الإعلامي الاحتياجات الإعلامية، كذلك كان لهم دور كبير خارج البلاد في تصدير الثورة الإسلامية، فأثبتوا أنهم جهاز يمكن الاعتماد عليه. (كيهان في 7/12/1984).

وترجع أهمية حراس الثورة إلى أسلوب إنشائه عندما تم تدريب الشباب المتحمس في معسكرات الثوار في مختلف أنحاء العالم على أداء المهام القتالية من الالتحام إلى حرب المدن وحرب العصابات ، ثم كلفوا بحماية قادة الثورة فكان ولاؤهم المطلق للثورة ومبادئها وأهدافها، وتم تحويلهم إلى جيش له قواته البرية والبحرية والجوية فضلا عن وحدات الصواريخ والمصانع الحربية، في 21/ 4/1979م من خلال إدارة عقائدية سياسية على أساس أيديولوجية النظام، فلا يقف واجبه عند حد الدفاع عن البلاد، إنما يتخطاه إلى إقرار الأمن وتعقب أعداء الثورة وتعمير البلاد والدعاية للثورة وتصديرها إلى الخارج. وقد تم إلحاق قوات التعبئة العامة (بسيج) به لإكمال دوره، وقد أكد الخميني على ضرورة تعميم نظام البسيج في العالم الإسلامي،ونشر خلايا مقاومة البسيج في المنطقة والعالم الإسلامي بإدارة صحيحة وتخطيط سليم وتشكيل أصولى لتأكيد استمرار الثورة ورسالتها. (اطلاعات في 23/ 11/ 1993).

ويبدو نشاط جيش الحراس الثقافي بارزا فيما يصدره من مجلات وصحف نوعية ومتخصصة كثيرة، فضلا عن محطة إذاعة خاصة، ومطبعة خاصة لطبع الكتب والنشرات والصور والملصقات، إضافة إلى مساحة

كبيرة في محطات الاذاعة وقنوات التليفزيون، وفي مجال التعليم أنشأ جامعة خاصة باسم جامعة الإمام الحسين تضم عددا من الكليات الهندسة والطب والعلوم والإعلام والعلوم الإنسانية والعلوم الإدارية والعلوم الأساسية فضلا عن كليات أكاديمية للعلوم العسكرية مثل القيادة والأركان والحرب الكيماوية وكلية ضباط الحراس وكلية الدراسات العليا.

كانت بصمات الحراس واضحة على النشاط الخارجي للنظام بعد حصول اثنين من قادته وهما على محمد بشارتي على منصب تائب وزير الخارجية، وحسين شيخ الإسلام على منصب وكيل وزارة الخارجية، فاستفاد من الغطاء الدبلوماسي في تصدير الثورة الإسلامية إلى دول العالم، كما كان محسن رضائي قائد الحراس يتمتع بحق الاتصال المباشر بالزعيم منذ أن كان حارسا خاصا للخميني. وقد بدأت الجهود الجدية للحراس في تصدير الثورة عن طريق العنف في سبتمبر 1982م عندما شاركت وحدة منهم حزب الله في لبنان ضد القوات الإسرائيلية، ثم توالت أعمالهم العنيفة في شكل أعمال تخريبية في دول الخليج خاصة في المملكة العربية السعودية والبحرين، كما استطاعوا تكوين شبكة من العملاء في أوروبا.

وقد تنوعت أعمال الحراس في هذا المجال بين التدخل السياسي أو العسكري غير المكشوف لمساندة الثوريين الإسلاميين في الدول الأخرى، وأعمال عنف موجهة للمصالح الأمريكية والغربية في مناطق متفرقة، وعمليات سرية ضد الحكومات العربية المحافظة، واغتيال خصوم النظام في الخارج، وتجنيد العناصر المحلية الغاضبة على حكوماتها، وتدريب المتشددين الإسلاميين، والتدريب على خطف الطائرات التجارية، وإمساك الرهائن والمفاوضة حول إطلاق سراحهم، والاستيلاء على شحنات الأسلحة. وقد لقيت أعمال الحراس العنيفة في الخارج معارضة من بعض القادة السياسيين ومنهم الرئيس رفسنجاني الذي سحب بشارتي من وزارة الخارجية وعينه وزيرا للداخلية كما سحب حسين شيخ الإسلام من وكالة وزارة الخارجية.

لم يمنع اتخاذ الرئيس خاتمي سياسة إزالة التوتر عملية دعم حراس الثورة, وقد كان متصورا مع تأكيد الرئيس خاتمي على سيادة القانون وتثبيت المؤسسات الدستورية والالتزام بدولة المؤسسات أن يقوم بمراجعة أوضاع المؤسسات الثورية وعلى رأسها جيش الحراس، وقد أثار الإصلاحيون الجدل حول وضع هذا الجيش ومدى دستوريته، وطالبوا بحله أو دمجه في الجيش النظامي، وقد رفض الحراس بعد الدور الكبير الذي قاموا به في الحرب العراقية الإيرانية الاندماج مع الجيش العامل، وأصدروا بيانا شديد اللهجة، جاء فيه: إن حراس الثورة والبسيج قد عقدوا ميثاق الدم مع ربهم وشعب بلادهم على أن لا يكون في إيران زقاق بلا شهيد أو منزل بلا بسيجي، وسوف ينفذون قانون الثورة والحسم الإسلامي لحراسة الحق والعدل دون تردد. (همشهري في 18/4/ 2000) .

وقد ساعد ارتباط الحراس بقيادات النظام على زيادة نفوذهم في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية فضلا عن المجال الأمني والعسكري، وقد استطاعوا بذلك أن يحددوا عمل وزارة

المعلومات (المخابرات العامة) في إطار الأمن الداخلي لينفردوا بعملية تصدير الثورة في الخارج، وإن كان قد غلب عليها الطابع الثقافي.

وإذا كان جيش حراس الثورة سوف يظل لفترة قوة ذات توجه أيديولوجي، مع ذلك فإن قوة الحراس ونفوذهم المرتبط بالتوجه الأيديولوجي للنظام الحاكم سوف يضعف مع توخي النظام الاعتدال لتحقيق أهداف براجماتية.

العرب السنة والعملية السياسية في العراق

ياسر الزعاترة الدستور 2/3/2005

طمأننا السادة الأعضاء في الائتلاف العراقي الموحد بعد لقائهم بالسيد علي السيستاني، بأن الرجل قد أوصاهم خيراً بإخوانهم من العرب السنة، من حيث ضرورة إشراكهم في العملية السياسية الجارية في العراق. ولم يقل لنا السادة إياهم ما إذا كان (السيد) قد أوصى بـ "كوتا" معينة يتفضلون بمنحها للعرب السنة، كأن تكون العشرين في المئة التقليدية، أم أن ذلك لم يعد ممكناً في هذه المرحلة وحيث يقتتل الإخوة في الائتلاف على المناصب الكبيرة والصغيرة، الأمر الذي سيصعب مسألة توزيع الصدقات على الآخرين. لكن (السيد) ربما ذكرهم بقوله تعالى "وإذا حضر القسمة أولي القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولاً معروفا"!!

نتذكر ذلك في سياق التصريحات الكثيرة التي ترد يومياً على ألسنة مسؤولين كثر في قائمة الائتلاف العراقي الموحد بشأن العرب السنة وضرورة إشراكهم في العملية السياسية، وبالطبع بعد الفوز الساحق للقائمة المذكورة في الانتخابات ومن ثم مساعيها الحثيثة لتشكيل الحكومة.

ما يمكن قوله على هذا الصعيد هو أن التصريحات المشار إليها إنما هي محاولة للإيحاء بأن العرب السنة قد مثلوا دور المتخلف عن المعركة والمحروم تبعاً لذلك من الغنيمة، فيما يمكن لمن حضروا وغنموا أن يتفضلوا بمنحه بعض الصدقات من حصصهم الخاصة من باب الكرم والشهامة.

غير أن واقع الحال يقول غير ذلك، ومخطئ من العرب السنة من تنطلي عليه هذه المعركة النفسية المبرمجة، ذلك أن مشاركة هذه الفئة في العملية السياسية (الحكومة ولجنة صياغة الدستور) ليست من النوافل بحال من الأحوال، بل ضرورة بالنسبة لقائمة الائتلاف، وكذلك الحال بالنسبة للأكراد، ومن وراء الجميع ذلك المحتل الذي يسعى إلى إدارة اللعبة على نحو يقلل خسائره ما أمكنه ذلك.

الحكومة الجديدة لا يمكن أن تكون شرعية من دون العرب السنة، الأمر الذي ينسحب على أي دستور يصاغ أو يقر بغيابهم، ولا يحدث ذلك لأنهم المكون الثالث من مكونات الشعب العراقي، وحيث أثبتت أرقام التصويت في الانتخابات أنهم أكثر من ربع السكان في أقل تقدير، بل أيضاً، وهذا هو الأهم، لأنهم يقودون مقاومة شرسة ضد الاحتلال يدرك سادة الائتلاف أنها هي التي منحتهم فرصة التمتع بالانتخابات ومن بعدها الفوز الساحق، وهي بالمناسبة مقاومة لا يمكن أن تتوقف باعتقال الزرقاوي أو اغتياله كما يتردد منذ أيام، والسبب هو أنها مقاومة نابعة من ضمير العراقيين الشرفاء وليست مستمرة بقرار من الخارج، مع أن مساعدة أي

عربي أو مسلم لهم لست عيباً بل شرف وفضيلة إذا ما انسجمت مع خطهم العام في مقاومة الاحتلال.

من هنا يمكن القول ان القوى المهمة في العرب السنة، وعلى رأسها هيئة علماء المسلمين والحزب الإسلامي ستكون مخطئة إذا ما تعاملت بإيجابية مع اللعبة الجديدة، ذلك أن فعلاً كهذا سيكون بمثابة اعتراف بخطأ مقاطعة الانتخابات، وهو أمر ليس صحيحاً بحال، بل لا بد من المضي قدماً في تكريس الخطاب الرائع الذي تبناه مؤتمر القوى المناهضة للاحتلال الذي عقد مؤخراً بمشاركة سنية وشيعية وحدد سبعة مبادئ للتعامل مع المرحلة الجديدة، أهمها جدولة انسحاب قوات الاحتلال من العراق والاعتراف بحق الشعب العراقي في مقاومة المحتلين، ورفض مبدأ المحاصصة الطائفية في بناء العراق الجديد.

خلاصة القول أن إشراك العرب السنة في العملية السياسية ليست منّة من ائتلاف السيستاني عليهم، بل استدراج لهم لمنح الشرعية لانتخابات مرفوضة لا تملك الحد المقبول من الشرعية، ومعها لمسار سياسي يرفض مطالبة قوات الاحتلال بالرحيل بدعوى الحاجة إليها، مع أنها هي سبب التدهور الأمني، بل سبب كل المصائب التي تحل بالعراق وأهله، اللهم إلا إذا كان هناك من يعتقد أن جورج بوش رئيس جمعية خيرية وليس دولة إمبريالية يدرك معظم البشر في الكون حقيقتها.

"الفائز الأكبر" و "الخاسر الأكبر"!

جواد البشيتي ، العرب اليوم 15/ 2/ 2005

بحسب النتائج النهائية، المعلنة رسمياً، كانت نسبة المشاركة في انتخابات "الجمعية المؤقتة" في العراق 59% فمن بين "الناخبين المسجلين"، الذين يقدر عددهم بنحو 14 مليون ناخب، شارك في الانتخابات نحو 8.5 مليون ناخب. وينبغي لنا أن نتذكر أن عدد " الناخبين المسجلين" يقل عن عدد الذين "يحق لهم الاقتراع" من العراقيين. هناك نحو 5.5 مليون ناخب من "الناخبين المسجلين" قاطعوا الانتخابات، فإذا علِمنا أن الغالبية العظمى من الناخبين المسجلين من الشيعة والأكراد قد شاركوا في الانتخابات فإن الناخبين المسجلين من السنة العرب الذين قاطعوا يؤلفون الغالبية العظمى من المقاطعين، الذين يقدر عددهم بنحو 5.5 مليون ناخب. هاذ يعني أن السنة العرب كانوا سيأتون في المرتبة الثانية بعد الشيعة العرب لو أنهم شاركوا في الانتخابات، أما الآن فلا حصة تذكر لديهم من مقاعد "الجمعية" التي ستتولى كتابة دستور دائم للعراق، يجب أن يقر في استفتاء شعبي، فتجرى وفقه انتخابات عامة جديدة، تنبثق منها حكومة دائمة شرعية.

الائتلاف الانتخابي الشيعي العربي، الذي أقامه ودعمه السيساني، والمسمى "الائتلاف العراقي الموحد"، نال حصة الأسد من المقاعد (نحو 140 مقعداً) تلاه الائتلاف الانتخابي الكردي (المؤلف من الحزب الديمقراطي الكردستاني والاتحاد الوطني الكردستاني) الذي نال نحو 75 مقعداً، أما لائحة رئيس الوزراء المؤقت إياد علاوي فحلت في المرتبة الثالثة بنيلها 40 مقعداً، ويدعي قادة هذه اللائحة أن حزبهم (حركة الوفاق الوطني) المؤلف لها جاء في المرتبة الأولى بين "الأحزاب" في "الجمعية" بينما جاءت لائحة السيستاني في المرتبة الأولى بين "القوى الائتلافية"، اللائحة التي مُنيت بفشل ذريع كانت لائحة الرئيس المنتهية ولايته السني غازي الياور، فوزنه العشائري القوي (الافتراضي) لم يُترجم إلا بوزن انتخابي في منتهى الضآلة، إذ نالت لائحته 5 مقاعد، هذا يؤكد أن البعدين القومي والطائفي في "المقاطعة السنية" قد تغلبا، في حالة الياور، على العصبية العشائرية التي كان يأمل في جعلها قوة انتخابية له.

إذا صحت "الأرقام" و "النسب" المنشورة في الصحافة فإن 24 لائحة ستنال نحو 288 مقعداً من مقاعد "الجمعية" التي لا يزيد عدد مقاعدها عن 275!

وهذا الخطأ الكبير في"الأرقام" و "النسب" (الفوز بنحو 13 مقعدا إضافيا) يقترن بخلل سياسي (برلماني) كبير، فهناك نحو 20 لائحة لم ينال كل منها أكثر من 3 مقاعد، والغالبية من هذه للوائح نال كل منها مقعداً واحدً.

الفوز الانتخابي "العظيم" للائحة السيستاني، والذي جاءت به قوة العصبية الطائفية المنافية لجوهر التطور الديمقراطي للعراق، حمل أحد

أبرز قادة هذه اللائحة وهو إبراهيم الجعفري على تشويه وتزوير بعض الحقائق السياسية المهمة إذ اعتبر مشيداً بالنتائج الانتخابية أن هذا "الإنجاز الانتخابي والديمقراطي"، والذي سيترجم بقيام حكومة جديدة، قد تم تحت مظلة الأمم المتحدة.

الآن ستبدأ "لعبة المقايضة" بين "الفائزين" و "المقاطعين"، فالمقاطعون السنة يملكون حق النقض (الفيتو) الذي قد يستخدمونه في "الاستفتاء الشعبي" لمنع إقرار الدستور الذي كتبته "الجمعية" غير الممثلين فيها بسبب مقاطعتهم للانتخابات، فإذا استخدموه فلا مفر، عندئذ من انتخاب جمعية مؤقتة جديدة، والدوران، بالتالي، في حلقة مفرغة. وعليه، لا بد لكتبة الدستور من النواب الشيعة والأكراد من كتابته في طريقة ترضي السنة العرب، فتحملهم، بالتالي، على المشاركة في إقراره في الاستفتاء الشعبي.

في هذه اللعبة تكمن بذور "الحرب" و "السلام" فإما تتمخض "لعبة المقايضة" تلك عن صراع طائفي مدمر وإما تتمخض عن صلح طائفي، يؤدي إلى قيام عراق، يملك من "الوحدة" و "الديمقراطية" و " الاستقلال" و "السيادة" ما يسمح به "التصالح" و "التوازن" بين ممثلي "الجماعات العراقية" المختلفة التي لا يمكنها تأكيد وجودها إلا على أنقاض "الوحدة القومية الديمقراطية" للشعب العراقي، الذي كان الخاسر الأكبر في انتخابات 30 كانون الثاني المنصرم!

"الهلال الشيعي" بين الحقيقة والوهم

محمد أبو الفضل ، باحث وصحفي بجريدة الأهرام

مختارات إيرانية العدد 54 يناير 2005

يبدو أن حديث المثلثات السياسية يقتصر على العراق، حيث يكون الضلع الرئيسي فيه، فبعد ابتداع المثلث السني أضيفت للأدبيات السياسة الجديدة المثلث الشيعي، كعبارة موجزة تنطوي على دلالات كبيرة، لاسيما أنها استمدت زخمها من تطورات الأزمة العراقية وما يكتنفها من تعقيدات على مستويات مختلفة، وهي تكشف في جوهرها عن شعور بعدم الارتياح من هيمنة الشيعة في العراق على الحياة السياسية هناك، بعد عقد طويلة من الإقصاء والتهميش، فإذا أجريت الانتخابات التشريعية في الثلاثين من يناير 2005 بصورة حيادية، فمن المتوقع أن يتبوأ الشيعة ـ الأغلبية ـ مكانة كاسحة في النظام العراقي الجديد، خاصة أن المؤشرات الراهنة تؤكد وجود مقاطعة سنية (جزئية) لهذه الانتخابات، التي انتبهت لأهميتها إيران وبدأت عملية طويلة من ترتيب أوراقها لصعود أغلبية موالية أو متعاونة معها، الأمر الذي أثار هواجس مختلفة لدى عدد من الدوائر الإقليمية والدولية، خشية تمدد الطموح الإيراني لما وراء العراق، أي إلى لبنان وسوريا، حيث تسكنها جماعات شيعية تتمتع بعلاقات وثيقة مع طهران، فضلا عن الحرارة المتصاعدة في صفوف شيعة دول الخليج، لذلك من حق دولة مثل الأردن أن تقلق من هذه البوادر، التي يمكن أن تحمل تغيرات واضحة في خريطة المصالح السياسية والاقتصادية لبعض دول المنطقة، وتجذب الترتيبات الاستراتيجية لبعض الدول الكبرى بعيدا علن أهدافها.

والواقع أن الحديث عن المثلث أو الهلال الشيعي جاء على لسان العاهل الأردني أثناء زيارته للولايات المتحدة في أوائل شهر ديسمبر عام 2004، عندما حذر في تصريح نشرته "الواشنطن بوست" في الثامن من ديسمبر من وصول حكومة موالية لإيران إلى السلطة في بغداد تعمل بالتعاون مع طهران ودمشق "لإنشاء هلال يخضع للنفوذ الشيعي يمتد إلى لبنان ويخل بالتوازن القائم مع السنة". وهو ما يعزز الاستنتاجات الرائجة حول مركز العراق في المنظومة الإقليمية. وفي إشارة لافتة قال الملك عبد الله الثاني "أن إيران تجد مصلحتها في إقامة جمهورية إسلامية في العراق، وهي تمول نشاطات خيرية عدة في هذا البلد لتحسين صورتها، وشجعت أكثر من مليون عراقي على عبور الحدود للتصويت في الانتخابات العامة وفقاً لرغبتها". وفي تصريحات أخرى من القاهرة أكد هاني الملقي وزير الخارجية الأردني في الثاني والعشرين من ديسمبر 2004 أن لدى بلاده أدلة كافية "تبين أن هذا الخطر قائم وأن عروبة العراق في خطر". وبالتالي فالمسألة تتعلق بضرورة ابتعاد طهران عن التأثير في العملية السياسية داخل العراق، وحض الدول العربية الأخرى على دعم المخاوف الأردنية.

اشتباك سياسي

الحاصل أن تصريحات الملك عبد الله الثاني ووزير خارجيته تتناغم مع التهديدات التي أطلقها كبار المسئولين في الحكومة العراقية المؤقتة

(الرئيس غازي الياور ورئيس الوزراء اياد علاوي ووزير الدفاع حازم الشعلان والداخلية فلاح النقيب)، وهي تأتي أيضا استكمالا لدعوة مروان المعشر وزير الخارجية الأردني السابق في تصريح لشبكة "ان.بي .سي" في 27 أبريل عام 2003 حض فيه الولايات المتحدة على ضرورة الحرص على عدم استبعاد أي فئة في المجتمع العراقي المدني حتى لا تتولى الحكم "سلطة دينية على غرار النموذج الإيراني المجاور". وتذكر هذه التحذيرات بوثيقة سبق أن وضعها حزب الدعوة الشيعي العراقي في بداية الثمانينيات، عندما انتصرت ثورة الخميني في إيران، أشار فيها إلى ما وصف في ذلك الوقت بالهلال الشيعي الممتد من شمال أفغانستان حتى جبل عامل في جنوب لبنان.

وبرغم الفارق الظاهر بين مكونات "الهلالين" إلا أنهما يعبران عن قلق بالغ من الأمنيات الخارجية في الأجندة الإيرانية، وأن العقلانية التي تتصف بها سياسية طهران حاليا بقيادة الرئيس محمد خاتمي بداخلها محتويات غير مهضومة لدى عدد من الأوساط الإقليمية. ما يشير إلى أن الخطوات الإيجابية التي سلكتها إيران تجاه دول الجوار معرضة للاهتزاز، على ضوء ما بدا من ارتياح في بعض الدوائر العربية للتحذيرات الأردنية، وحاول حميد رضا آصفي الناطق باسم الخارجية الإيرانية في رده (12 ديسمبر 2004) دحض هذه الاتهامات قائلا أن ملاحظات العاهل الأردني "غير واقعية وغير مسئولة وتتضمن إهانة واضحة للشعب العراقي، وتأتي في وقت يضغط فيه النظام الصهيوني على العالم الإسلامي".

واللافت للانتباه أن هذا الاشتباك السياسي الحاصل حاليا يتزامن مع بعض التطورات التي تعكس خوفا زائدا من تصاعد حدة الانفلات في العراق، فالاستعداد لإجراء الانتخابات العراقية يتم وسط ارتفاع حجم المشكلات التي تعانيها القوات الأمريكية، والتي درجت على توجيه الاتهام للأصابع الخارجية، تحديدا إيران وسوريا، دون الاعتراف بإخفاقها في تحقيق الأمن والاستقرار في العراق. كما تترافق مع إعلان غالبية الطائفة السنية مقاطعة الانتخابات. من هنا تحمل جملة التصريحات والتحذيرات المتناثرة رسالة لدفع السنة للمشاركة بفعالية في الانتخابات، لأن المقاطعة من وجهة نظر العاهل الأردني، قد يترتب عليها استبعاد مصالح جزء من المجتمع العراقي في الدستور الجديد، هو العلم الأحمر بالنسبة لمستقبل العراق، وإذا استبعد تمثيل طائفة السنة في كتابة الدستور، فإن هذا قد يدفع إلى تمزيق العراق مع خطر اندلاع حرب أهلية، وتتضافر هذه التقديرات مع ما نشرته الصحافة الأمريكية أخيرا بشأن تكهنات بوجود سيناريو أمريكي لغزو إيران على ثلاث مراحل خلال أسبوعين، لكن عائقه الوحيد العراق، ويقوم على ضرب معسكرات الحرس الثوري والمفاعلات النووية ثم الزحف من خمسة اتجاهات نحو طهران، وبصرف النظر عن الأهداف الدعائية وراء هذا السيناريو، فإنها تؤكد أن الملف الإيراني يمكن أن يصبح حالة إقليمية ودولية في آن واحد.

وفي محاولة للتدليل على صواب كلام الملك عبد الله أشار صالح القلاب وزير الإعلام الأردني السابق (الشرق الأوسط 15/12/2004) إلى أن الهلال السياسي الشيعي يعني في نظر الأردن، حراس الثورة وبعض

الفئات التنظيمات العراقية التي يتعاون معهم، وتشكل لهم ولتطلعاتهم وخططهم رأس جسر نحو دول عربية أخرى، ومن بين هؤلاء جيش محمد البعثي وتنظيم القاعدة وأبو مصعب الزرقاوي والعديد من قادة فروع حزب البعث الذين أصبحوا أعضاء في بعض أجهزة المخابرات الإيرانية، والتي بات يسيطر عليها المحافظون والمتطرفون الذين يرفعون شعار تصدير الثورة الخمينية علنا، ويسعون لأن يشمل ظل الولى الفقيه عددا من الدول العربية.

ومع أهمية هذا الكلام وغيره، إلا أنه يفتقر إلى الأدلة والبراهين التي تعزز صوابه، علاوة على أن وجود علاقة بين طهران والمعارضة العراقية بأطيافها المختلفة لا يمثل خروجا على النص فغالبية الدول تحتفظ بشكل أو بآخر بعلاقات مع معارضين في دول أخرى، وبحكم التداخل الكبير والحسابات المتشابكة من الطبيعي أن يدافع كل بلد عن مصالحه بالطريقة التي يراها مناسبة، دون تدخل في جدول أعمال الآخرين.

هواجس أردنية وعربية:

على ضوء المعطيات السابقة يقدم التركيز على ما يوصف بالهلال السياسي الشيعي أربعة محددات رئيسية: **الأول**، تنامي دور الشيعة في المنطقة الذي سيتزايد عقب اتساع نطاق تأثيرهم في الحكم العراقي وظهور نظام ضمن مكوناته أغلبية شيعية عراقية. **والثاني**، صعود نموذج حزب الله الشيعي في جنوب لبنان أضحت تقلق دوائر اقليمية كثيرة، في مقدمتها الأردن وهي في منتصف نموذجين قريبين منه حيث من الراجح أن يدغدغ هذا الصعود مشاعر شيعة جنوب الأردن. **الثالث**، عدم إخفاء طهران دعمها للمقاومة في لبنان وفلسطين يمثل قلقا بالغا للحكومة الأردنية التي أعلنت اعتراضها أكثر من مرة لاستضافة طهران قيادات إسلامية متشددة، ما يعطي دعما للتيار الإسلامي الحاضر في الساحة الأردنية. **والرابع** يتعلق بهواجس عمان من زيارة آلاف الإيرانيين الشيعة لمحافظة الكرك بجنوب الأردن سنويا، في رحلات سياحية لإحياء يوم عاشوراء إلى جانب أضرحة الصحابة الذين استشهدوا في معركة "مؤته" ويحرصون كذلك على زيارة مؤسسة وجامعة "آل البيت" التي أنشأها الأمير الحسن بن طلال، وتحوي عددا من أقدم مخطوطات وكتب الشيعة والكثير من الدراسات التي تهدف للتقريب بين المذهبين السني والشيعي.

ويمكن القول أن هناك عدة دلالات للقلق الأردني لخوض معركة سياسية طويلة للحد من أي طموحات إيرانية كبيرة في المنطقة، وقد تؤدي إلى تغييرات جيو ـ استراتيجية. وبالتالي المساعدة، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، في تهيئة المسرح لمزيد من تطويق إيران، بما يؤثر سلبا على العلاقات الطيبة التي كانت سائدة بين طهران وعمان والتي عكستها زيارة العاهل الأردني لإيران في الثاني من سبتمبر عام 2003، فبموجبها طويت الصفحة القاتمة التي طغت على علاقاتهما إبان حكم صدام حسين.

ومن الواجب الاعتراف بأن للأردن مصالح حيوية في العراق يصعب تجاهلها، ويبدو الاهتمام بالحد من الدور الإيراني في العراق حيث أنه يعطي ميزة للأردن، وحيث يجري تصوير المشهد باعتبار عمان هي الحامية للأغلبية

السنية في المنطقة، لكن الخطورة أن تؤثر المخاوف الأردنية وتداعياتها العملية على العلاقات مع سوريا التي تتسم بالتطور الإيجابي، ومع لبنان التي تظهر على قسماتها علامات هدوء واضحة.

وتتعاظم الصعوبات الإقليمية أمام إيران، ويمكن بلورة تحديات أساسية أولاها التحفظ والرفض العربي لأي دور إقليمي لإيران، والذي ظهرت تجلياته الأخيرة في فرملة علاقاتها مع مصر، بعد الإعلان عن وجود شبكة للتجسس يقودها إيراني مسئول في مكتب رعاية المصالح بالقاهرة وآخر مصري، والخوف الخليجي من البرنامج النووي الإيراني الذي كشفته مؤخرا مجموعة من الكتابات والتصريحات. وثانيتها تأثيرات القضايا السورية المعلقة مع الولايات المتحدة وما يمكن أن ترخيه من ظلال سلبية على العلاقات مع إيران، بالإضافة إلى ظهور ملامح لتوجهات لبنانية بعيدة عن دمشق.وثالثتها، أن الوجود الأمريكي في المنطقة الغربية من إيران يساهم مباشرة في تعطيل أي سناريو للتمدد الإيراني وتصبح التقديرات المتعاظمة لما يسمى بالهلال السياسي الشيعي أمنيات أكثر منها توقعات، وهو ما يسمح باتخاذها ذريعة لمزيد من تطويق إيران، ومدخل يحدد قسمات التوازنات المطلوبة في المنطقة.

رولیت العلاقات المصرية ـ الإيرانية

أ.د.محمد السعيد عبد المؤمن ، أستاذ الدراسات الإيرانية بجامعة عين شمس

مختارات إيرانية العدد 54 يناير 2005

أصبح مفهوم العلاقات المصرية ـ الإيرانية أكثر تعقيدا من المعنى المتعارف عليه لمفهوم العلاقات، بل لعله أصبح أقرب للعبة (الروليت) بقواعدها المعروفة منه للعبة السياسة بأصولها المتداولة، أنا لا أقصد ـ بطبيعة الحال مسألة العشوائية في هذه اللعبة ـ لكن عناصر اللعبة التي لا تتحد في انتظار نتيجة يأتي بها الحظ أو الغش، إن هذه المفارقة ـ في نظري ـ ترجع إلى افتقاد الخصوصية التي ينبغي أن تكون للعلاقات المصرية ـ الإيرانية، حيث يسيطر عليها ويوجهها لاعبون من الخارج أو المناخ الخارجي المرتبط بأحداث المنطقة والعالم، ومن ثم أصبح علينا أن ندرس هذه العلاقات من خلال المؤثرات الخارجية قبل أن ندرسها من خلال المؤشرات الداخلية الخاصة بطرفيها، حيث أن تحديات هذه العلاقات أصبحت إقليمية في المقام الأول، ثم عالمية في المقام الثاني، ثم داخلية في المقام الثالث، وهو أمر لا يدعو للاستغراب والدهشة مع متابعة الأحداث المتلاحقة التي تدخل في إطار رسم خريطة جديدة لمنطقة الشرق الأوسط، وتطبيع النظام العالمي الجديد فيها.

إن تراجع العلاقات المصرية ـ الإيرانية في الفترة الأخيرة والتي أكدها ما نشر حول قضية التخابر الإيراني ضد مصر، ليس محصلة طبيعية للمساعي المبذولة من الطرفين للتقارب والتنسيق وإعادة العلاقات الدبلوماسية، وقد كانت تدعو للتفاؤل إلى الحد الذي بات البعض يتوقع عودة هذه العلاقات بين ليلة وضحاها، حتى ذلك الجو من التفاؤل الذي ساد اللقاءات بين الجانبين مثل اشتراك الدكتور عثمان محمد عثمان وزير التخطيط المصري على رأس وقد اقتصادي مصري في الدورة التاسعة والعشرين لبنك التنمية الإسلامي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي والتي عقدت في العاصمة الإيرانية طهران، حيث لقي الوفد المصري اهتماما كبيرا في طهران سواء من جانب المسئولين الإيرانيين التنفيذيين والتشريعيين، أو من جانب الأحزاب المحافظة والإصلاحية، أو من جانب أجهزة الإعلام والصحافة والأجهزة الشعبية. ورغم أن الدكتور عثمان محمد عثمان وزير التخطيط المصري لم يكن أكثر من ممثل لبلاده في اجتماعات البنك، إلا أن الرئيس الإيراني محمد خاتمي قد حرص على لقائه، واستقبله استقبالا رسميا في مكتبه برئاسة الجمهورية، وعندما سأله الصحفيون الإيرانيون عقب اللقاء ما إذا كان يحمل رسالة من الرئيس محمد حسني مبارك إلى الرئيس محمد خاتمي حول العلاقات بين مصر وإيران، اضطر إلى القول بأنه يحمل رسالة شفوية، باعتبار أنه ليس وزيرا للخارجية الذي يحمل الرسائل الرسمية المكتوبة. كما داعب الصحفيين بقوله: إنه سوف يقابل الرئيس خاتمي نيابة عن الرئيس مبارك.

وقد استضافت الصحيفة الإصلاحية الواسعة الانتشار شرق (الشرق) الوزير المصري وأجرت معه حوارا نشرته في صدر صفحتها الأولى تحت

عنوان: "رسالة مبارك لخاتمي" قام رئيس التحرير بسؤال الوزير المصري عددا من الأسئلة الذكية التي يتحسس بها الموقف المصري من العلاقات مع إيران، وقد بدأ أسئلته بما دار في اللقاء الذي تم بين الوزير المصري والدكتور صفدر حسيني وزير الاقتصاد الإيراني، حيث أكد الدكتور عثمان على نمو العلاقات بين البلدين في مختلف المجالات الاقتصادية، وقال إنه رغم تدني مستوى ميزان التبادل التجاري بين البلدين إلا إن المسئولين قد قروا التوسع في العلاقات الاقتصادية، مشيرا إلى أن إيران في ظل حكم الرئيس خاتمي قد حققت تقدما اقتصاديا ملحوظا خلال السنوات السبع الماضية، بمعنى أنها بدأت تحولا اقتصاديا هاما، وإن مصر مهتمة بالاستفادة من التجارب الإيرانية في هذا القطاع، وأكد الدكتور عثمان أن عصر العولمة الذي نعيش فيه قد ساهم في وجود تكتلات اقتصادية كبيرة، وهو ما يجعل مصر وإيران في حاجة إلى مزيد من التنسيق للوجود المنسجم والأكثر فعالية في الساحات الإقليمية والدولية.

وقد أكد الوزير المصري أيضا أن مصر بلد ناجح في مجال الإنتاج الغذائي وأن السوق الاستهلاكية الإيرانية هدف مناسب لتصدير هذه الإنتاج، وأن مصر في نفس الوقت تواجه مشكلة في إنتاج القمح، ويمكن القضاء على هذه المشكلة بالاستفادة من التجربة الإيرانية في تحقيق الاكتفاء الذاتي من القمح. كما أكد الدكتور عثمان أن من المسائل الهامة التي تباحث فيها مع زير الاقتصاد الإيراني هي دعم علاقات القطاع الخاص في البلدين، كما أشار إلى أنه دعا الوزير الإيراني لزيارة مصر لاستكمال المباحثات وأن الدكتور صفدر حسيني قد وعد بزيارة مصر، مؤكدا على أن دعوة المسئولين الإيرانيين لزيارة مصر توفر لقاءات متتابعة للنقاش والبحث التقييم، وهو ما يدعم العلاقات بين البلدين.

ومن الأسئلة الاختبارية التي وجهها رئيس التحرير للدكتور عثمان سؤال يتعلق بإمكانية دعم السائحين الإيرانيين للسياحة المصرية، مشيرا إلى وجود موانع تعترض حصول السائحين الإيرانيين على تأشيرات دخول إلى مصر، وما يمكن للوزير المصري بذله من جهود لتذليل هذه العقبة، فأجاب الدكتور عثمان بأنه سيطلب من السفير المصري في طهران سرعة العمل على إزالة مشكلة إصدار تأشيرات دخول مصر للتجار والمنتجين والسائحين الإيرانيين.

كما سئل الوزير عثمان عن موقف الرئيس مبارك من إيران منذ لقائه مع الرئيس خاتمي على هامش قمة المعلومات التي انعقدت في جنيف في 10 ديسمبر عام 2003 فأجاب بأنه التقى مع الرئيس مبارك قبل سفره إلى إيران، حيث اتضح له في هذا اللقاء اهتمام الرئيس مبارك الخاص بدعم العلاقات مع إيران في المجالات السياسية والاقتصادية، مبديا سعادته بهذه الفرصة، وأنه طلب منه شفويا دعوة الرئيس خاتمي لزيارة مصر.

وحول سؤال آخر عن الموانع التي تعترض عودة العلاقات السياسية بين البلدين، قال الوزير عثمان: "لقد كان عدم وجود إحساس طيب من المسئولين المصريين تجاه تسمية أحد شوارع طهران باسم خالد الإسلامبولي الذي اغتال الرئيس أنور السادات أحد هذه الأسباب، وإزاء تغيير اسم الشارع فقد زال هذه الشعور، كما أن سائر المعوقات ليس من

النوع الذي يمكن أن يعوق دعم العلاقات بين مصر وإيران، إضافة إلى أن ديون مصر لإيران يمكن تسويتها من خلال مباحثات ثنائية".

ولقد كان اشتراك السيد حبيب العادلي وزير الداخلية المصري في مؤتمر وزراء داخلية دول الجوار للعراق أمرا باعثا على التفاؤل، خاصة مع محادثاته مع وزير الداخلية الإيراني عبد الواحد موسوي لاري، ولقائه بالرئيس الإيراني خاتمي، إلى الحد الذي جعل الإيرانيين يعدون مشروعات مشتركة في مجال المياه والري انتظارا لزيارة الدكتور محمود أبو زيد وزير الري المصري لطهران بدعوة من وزير الطاقة الإيراني، حيث صرح الدكتور رضا أردكانيان وكيل وزارة الطاقة لشئون المياه أن هناك علاقة وثيقة بين مصر وإيران في مجال المياه عبر التعاون الإقليمي والدولي، وأن علاقة رفيعة المستوى خططت بين المركزين الإقليميين لإدارة المياه وتبادل الخبرات في مصر (rctws) وإيران (rcuwm).

كذلك المؤتمرات الإقليمية التي عقدت مؤخرا، واشترك فيها ممثلون عن الجانبين المصري والإيراني، سواء في شرم الشيخ أو في طهران، ثم الندوة الرابعة للعلاقات المصرية ـ الإيرانية التي عقدها مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام بالتعاون مع معهد الدراسات السياسية والدولية التابع لوزارة الخارجية بطهران تحت عنوان: "التداعيات الإقليمية للاحتلال الأمريكي للعراق"، واشترك فيها نخبة من معهد الدراسات السياسية والدولية بوزارة الخارجية الإيرانية وخبراء وباحثو مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، ونخبة من مفكري المركز والجامعات المصرية، ورغم الخلافات التي بدت واضحة بين وجهات النظر المصرية والإيرانية، فيما احتوته الأوراق المقدمة، والتي اتخذت طابعا أصوليا، إلا أن الرغبة كانت واضحة للتقدم نحو فهم مشترك وتقدير للمنطلقات والمواقف، بل لعل هدف الوصول إلى حلول للتحديات التي تعوق تطبيع العلاقات في المجالات المختلفة السياسية والاقتصادية والثقافية كان مشتركا بين الفريقين.

ربما يلقي الإيرانيون باللائمة على الجانب المصري لأنهم يريدون العودة للأصولية كأساس للنقاش والتفاهم، بينما يرجح المصريون التعامل بواقعية مع ظروف المنطقة، ومن ثم فإن الإيرانيين يرجعون تأخير التلاقي إلى الجانب المصري بسبب مشكلة خلافية بين أجنحته السياسية، والتي يرون أنها لن تحل إلا بإرجاعها إلى الفكر الأصولي، وهم يقصدون بذلك الأصولية الإسلامية المتحركة من خلال اجتهاد فقهي يتطور بها عبر الأحداث والظروف.

كما يؤكد الإيرانيون أن تقييم المصريين لعنصر المصلحة الناتج عن العلاقات بين البلدين تقييم سطحي يقوم على متغيرات وليس على ثوابت، وأن تجاهلهم العمق الحضاري لهذه الروابط في مختلف أبعاده السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، يفقدهم قاعدة أصولية في تقييم هذه العلاقات، فضلا عن القدرة على استقراء مستقبلها. وهذا الرأي الإيراني في نظري هو جوهر الخلاف الذي يؤدي إلى سوء الفهم وإلى الاستنتاجات الخاطئة، ويعتبر عرض قضية التخابر الإيراني ضد مصر ورد الفعل الإيراني عليها خير شاهد على ذلك.

وإذا كانت القضية قد عرضها الجانب المصري في ثوب قانوني مع صراحة اتهام أحد العاملين الإيرانيين في مكتب رعاية المصالح، فقد حاولت الصحف القومية أن تفرق بين الحكومة الإيرانية التي يسيطر عليها الإصلاحيون، وبين الحرس الثوري الذي تم التخابر لصالحه، والذي يسيطر عليه المحافظون ويخرج عن سيطرة الحكومة، بغض النظر عن مدى دقة الصحف في هذا العرض إلى أنه يبدو متعارضا مع الرسالة التي تصورها الجانب الإيراني عن هذه القضية،وهو ما يعكس سوء الفهم والاستنتاج الخاطئ.

وإذا كان السفير أحمد العمراوي رئيس جمعية الصداقة المصرية ـ الإيرانية قد حاول أن يخفف وقع الصدمة بقولة: ليس معنى قيام إيران بذلك العمل أن إيران توافق رسميا على الأنشطة المضادة لمصر، فهذا ما لا يتفق مع وجهة نظر بعض المحللين، فقد قالت صحيفة الشرق الأوسط: هذه القضية تجعل العلاقات بين البلدين تعود من جديد إلى نقطة الصفر،وربما تكون الدلائل الظاهرة متفقة مع رأي صحيفة الشرق الأوسط، وربما أيضا يشاركها الرأي كثير من المحللين ومنهم إيرانيين، حيث يعتقد كثير من الإيرانيين الرسميين أن سيناريو هذه القضية رغم كونه متداخلا وغير منسجم، وتبدو فيه آثار أصابع صهيونية أمريكية، إلى أنه يمثل رسالة واضحة إلى إيران تفيد عدم رغبة الجانب المصري في تطبيع العلاقات معها في الوقت الحالي على الأقل، ورغم امتناع رئيس مكتب رعاية المصالح الإيرانية بالقاهرة عن التعليق أو الحوار عبر وسائل الإعلام، ورغم حرص المتحدث الرسمي الإيراني على نفي الاتهام مع عدم مهاجمة الجانب المصري، ورغم حرص الصحف الإيرانية حتى المتشددة منها على عدم إبداء رأي صريح في القضية، إلا أن من الواضح وجود دهشة واستنكار لدى الإيرانيين، نتيجة لرؤيتهم عدم جدوى إبراز هذه القضية في الوقت الراهن، لأنها لا تخدم مسيرة التنسيق والتفاهم بين الجانبين، ولا تحقق فائدة للجانب المصري، ولن يكون لها مقابل عند الولايات المتحدة الأمريكية أو إسرائيل وستؤدي إلى إحداث جرح لدى الرأي العام الإيراني لن يبرأ لوقت طويل.

وقد نشط المسئولون وأجهزة الإعلام الإيرانية وخاصة الصحف في متابعة هذه القضية، ولكن بحذر شديد ومن خلال التلميح لا التصريح، وكان أبرز التصريحات هو ما صدر عن وزارة الخارجية الإيرانية، فقال حميد رضا آصفى المتحدث الرسمي باسم وزارة الخارجية الإيرانية عن القضية: إنها سيناريو مملوء بالتحريض والحقد خطط له تحت تأثير أعداء إيران، وليست هناك أية مستندات تدعمها، وأن إيران نفسها ضحية للإرهاب،وموقفها من الإرهاب واضح وصريح تماما، وسياسة إيران أصولية، ومثل هذا الادعاء يخدم السياسات الصهيونية على حساب مصالح دول المنطقة.

أكد وزير الخارجية الإيراني كمال خرازي هذه المعنى في تصريحه عقب لقاء وزير خارجية جنوب أفريقيا في طهران، عندما قال: إن هذا الاتهام لا أساس له، وهو تحرك مشبوه وعلى المصريين أن يقدموا الأدلة والمستندات، وأن مثل هذا النوع من الادعاءات يسمم مناخ المنطقة في الوقت الذي تواجه فيه التحديات، ومن المؤسف أن يلعب المصريون هذا الدور.

وقال مسئول في وزارة الخارجية الإيرانية: سوف ندرس الموضوع بجدية في انتظار تفاصيل أكثر من مصر.

وقال داريوش صولت رئيس مكتب رعاية المصالح الإيرانية بالقاهرة: لا تعليق، وأكتفي ببيان المتحدث الرسمي لوزارة الخارجية، فهناك مسائل وأمور أكثر أهمية ينبغي أن ننشغل بها.

وقال علاء الدين بروجردي رئيس لجنة الأمن والشئون الخارجية بمجلس الشورى الإسلامي: إنني أعتبر هذا الادعاء في إطار استراتيجية أمريكية صهيونية لإثارة ضجة مستمرة حول إيران، بعد حل قضية الملف النووي الإيراني وطرح سيناريو دعائي جديد لاستمرار اتهام إيران.

وقد دعمت الصحف الإيرانية هذا التحليل والاستقراء، فقد نشرت صحيفة شرق الإصلاحية في عددها بتاريخ 11/12/2004 تقريراً عن الموضوع مشيرة إلى أن خبر قضية التجسس نشر بعد بضعة أسابيع من إدلاء كمال خرازي وزير الخارجية الإيراني بتصريح في شرم الشيخ عند حضوره مؤتمرا حول العراق، قال فيه: إن إيران لديها الاستعداد الكامل لتطبيع علاقاتها مع مصر، مؤكدا تعجبه من أنه كلما تقاربت الدولتان قامت أيادي خفية بإيجاد التوتر في الأمور بينهما، وهذا التصريح يعني عدم وجود موانع جادة للتطبيع.

وأكدت الصحف تزامن القضية المصرية مع اتهامات وجهت لإيران بحماية الإرهاب، منها ما وجهه الملك عبد الله الثاني ملك الأردن، وقد ردت عليه صحيفة اطلاعات في افتتاحية عددها الصادر بتاريخ 12/12/ 2004م بأن قول ملك الأردن عن رغبة إيران إنشاء منطقة للشيعة على شكل هلال بدفع مليون شيعي إيراني للنزوح إلى العراق للاشتراك في الانتخابات القادمة من أجل إقامة حكومة شيعية هناك، يمثل عدم فهم من الملك عبد الله لظروف العراق، فضلا عن أنه بهذه التصريحات يثير الفتنة والشقاق بين الشيعة والسنة في العراق، وهو ما يخدم الولايات المتحدة الأمريكية والصهيونية، وسخرت الصحيفة من أن الملك عبد الله يبدي رأيه في مستقبل العراق دون أن يدين الاحتلال الأمريكي.

كما قامت الصحف الإيرانية بمهاجمة مؤسسة ناشيونال جيوجرافيك العالمية لوضعها اسم الخليج العربي بدلا من الخليج (الفارسي) في اكبر دوائر المعارف العالمية. (شرق في 11/12/2004).

كذلك قام سيد محمد صحفي وكيل وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي لشئون الصحافة بالرد على تقرير للجنة حقوق الإنسان الدولية في حديث بمناسبة اليوم العالمي لحقوق الإنسان، مؤكدا أن في إيران نظام يقوم على نفي الطاغوت والاستبداد عن طريق محاولة دعم الهيئات العاملة من أجل حرية الرأي والقلم مثل الصحافة والجمعيات الأهلية لتقوية مفهوم حقوق الإنسان في الشرق الأوسط مشيرا إلى أن الثورة الإسلامية قد هيأت فرصة ثمينة لقراءة معنوية لوثيقة حقوق الإنسان وتنمية معناها ومفاهيمها في جوهرها الديني، ومنينا التناقض الواضح في الشرق الأوسط بين الإعلام عن حماية حقوق الإنسان للدول الكبرى مقترنا بالعمل الظالم، كما ألمح إلى

الفهم الخاطئ للقوانين أو بعض الأعمال المشبوهة وتفسيرها على أنه تجاهل من النظام الإيراني لحقوق الإنسان. (إيران في 12/12/2004).

وكان الاتحاد الأوربي من خلال سفارة هولندا في طهران قد ابدى اعتراضه على اعتقال عدد من الصحفيين والمعترضين ونشطاء حقوق الإنسان مثل هادي قابل وحسين عبدالله بور عضوي جبهة المشاركة الإصلاحية في قم، وعدد من طلاب جامعة أمير كبير، وتفتيش مقر جبهة المشاركة في قم، ومنع خروج عماد الدين باقي ومحمد ملكي وأعظم طالقاني ومحمد علي دادخواه ومحمد سيف زاده.

كما أعلنت إيرائيل عن اعتقال محمد غانم في قرية البقاع الغربية بشمال إسرائيل بتهمة التجسس لحساب إيران، وفي مقابل ذلك نشرت صحيفة اطلاعات في ملحق عددها بتاريخ 11/12/2004 تقريرا عن العلاقات الباردة والصعبة بين مصر وإسرائيل، وذلك نقلا عن وكالة رويتر من القدس.

على كل حال فارتباك رد الفعل الإيراني أمام تعثر العلاقات المصرية ـ الإيرانية يؤكد أن هذه العلاقات تحكمها قواعد لعبة الروليت وليس مفهوم العلاقات الثنائية بين الدول.

شكاوي أهل السنة من حكام طهران!

الوطن العربي ـ العدد 1457ـ الجمعة 4/2/2005

بعد الاحتلال الأميركي للعراق، وجه النواب السنة في البرلمان الإيراني رسالة هي الأولى من نوعها إلى أربعة من المراجع الشيعة الكبار نددوا فيها بما وصفوه بـ "التمييز الفاضح" ضد أهل السنة في إيران من قبل أجهزة الحكم، وقد وجهت الرسالة إلى اثنين من المراجع المعارضين، وهما آية الله حسين علي منتظري وآية الله عبد الكريم موسوي أردبيلي، واثنين آخرين من المرتبطين بالسلطة العليا في طهران وهما آية الله فاضل القوقازي، الملقب بلنكراني، وناصر مكارم الشيرازي.

ذكرت الرسالة أن أهل السنة يشكلون ما يزيد على عشرين في المائة من سكان إيران حسب تقديرات غير رسمية، بينما تقول السلطات الرسمية إنهم لا يشكلون أكثر من تسعة في المائة من السكان البالغ عددهم 65 مليون نسمة، وتساءل النواب السنة، عما إذا كان تولى أصحاب الكفاءة والمؤهلات العلمية من السنة الوظائف القيادية والمسؤوليات الكبرى كالوزارة ونيابة الوزراء والسفارة فضلا عن قيادة القوات المسلحة والمسؤوليات الرئيسية في القضاء، أمرا مخالفا للمذهب الشيعي المسيطر على البلاد، وأشاروا إلى أن أهل السنة محظور عليهم تولي تلك المناصب حيث لا يوجد سني واحد في مجلس الوزراء والمناصب الرئيسية في الوزارات والمؤسسات الكبرى، كما أن المحافظين ورؤساء الدوائر الرسمية في المدن والمحافظات التي يشكل أهل السنة الأغلبية المطلقة فيها مثل كردستان وبلوشستان وطالش وبندر عباس والجزر الخليجية وبوشهر وتركمن صحرا وشرقي خراسان، هم جميعا من الشيعة.

واشتكى النواب الإيرانيون السنة من عدم موافقة السلطات العليا على إقامة مسجد لأهل السنة في طهران رغم انتماء ما يزيد على نصف مليون من سكان العاصمة إلى المذهب السني، وقالوا في رسالتهم: "بينما هناك معابد وكنائس للأقليات الدينية مثل الزرادشتيين واليهود والنصارى في العاصمة، تواصل السلطات الحاكمة رفضها لبناء مسجد لأهل السنة في طهران"، وكشفت الرسالة أن النظام أقام مركزا في كردستان تحت اسم "المركز الإسلامي الأعلى" يديره رجل دين شيعي معين من قبل السلطة العليا لكي يشرف على كافة الأمور الدينية وغير الدينية الخاصة بأهل السنة، وبينما الشيعة قادرون على مراجعة من يقلدونه من مراجع التقليد حيث هناك نوع من التعددية في الآراء الفقهية ومصادر التشريع الديني لدى الشيعة فرضت على أهل السنة قيوداً صارمة بربط مدارسهم ومناهجهم الدراسية، وأمورهم الشخصية والحسبية بالمركز الإسلامي الأعلى.

ولا توجد في إيران إحصائية دقيقة توضح عدد الذين ينتمون إلى أهل السنة والجماعة، لكن على الرغم من كل ذلك نستطع أن نجزم بأن عددهم يقدر بأكثر من 18 مليون نسمة من إجمالي سكان إيران البالغ عددهم حوالي 65 مليوناً وهذا العدد يعادل أكثر من 25% من سكان إيران،

ويشكل الشعب الكردي حوالي نصف أهل السنة في إيران حيث يعيش في إيران أكثر من 8 ملايين من أبناء الشعب الكردي وأكثر من 95% منهم من أهل السنة، ويأتي الشعب البلوشي في المرتبة الثانية من أهل السنة في إيران.

ووفقا لما ذكرته مصادر أهل السنة في إيران فإن أوضاعهم تذبذبت بشدة خلال الثلاثين عاما الأخيرة، فحين اندلعت الثورة المليونية في إيران عام 1979 شارك أبناء أهل السنة بكل أطيافهم في تلك الثورة وكان علماء وشباب أهل السنة في مقدمة المؤيدين لإقامة الجمهورية الإسلامية، لكن بعد انتصار الثورة وسقوط نظام الشاه بأشهر قليلة بدأ الخميني وتلاميذه بالخداع والنفاق لاحتكار السلطة وسيطروا على الحكم وحولوا آمال الشعب في إقامة جمهورية إسلامية إلى إقامة جمهورية طائفية شيعية، واستعملوا السلطة لقمع الأقليات المذهبية والقومية.

أدلة الاضطهاد

ويقول المصدر الكردي، الذي خشي من ذكر اسمه، إنه منذ بداية الثورة وحتى اليوم تمارس الحكومة الإيرانية أبشع أنواع الظلم والتمييز ضد علماء ودعاة وشباب ومثقفي وأبناء أهل السنة وخاصة ضد الشعبين: الكردي والبلوشي، وروى المصدر الكردي بعض الحقائق حول الأوضاع المأساوية التي يعيشها أهل السنة في إيران، ومن بينها:

1ـ أن الشيعة أحرار في نشر عقائدهم وممارسة طقوسهم وتأسيس الأحزاب والمنظمات في حين أنه ليس لأهل السنة شئ من هذه الحقوق بل هم يظلمون ويطردون ويسجنون ويقتلون.

2ـ منع أئمة وعلماء أهل السنة من إلقاء الدروس في المدارس والمساجد والجامعات ولا سيما إلقاء الدروس العقائدية، بينما لأئمتهم ودعاتهم الحرية المطلقة في بيان مذهبهم بل التعدي على عقيدة أهل السنة.

3ـ وضع مراكز ومساجد أهل السنة تحت المراقبة الدائمة، وتجسس رجال الأمن وأفراد الاستخبارات على جوامع أهل السنة لا سيما أيام الجمعة ومراقبة الخطب والأشخاص الذين يتجمعون في المساجد.

4ـ جميع وسائل الإعلام والنشر كالإذاعة والتلفزيون والكتب والجرائد والمجلات شيعية المذهب ولا يملك أهل السنة أيا من تلك الوسائل بل تستعمل هذه الوسائل لضربهم وإضعافهم.

5ـ حرمان شباب وأبناء أهل السنة لاسيما المثقفين منهم من تنظيم ندوات واجتماعات خاصة بهم مهما كان نوعها أو حجمها.

6ـ منع بيع وشراء الكتب العقائدية لأهل السنة، ومنع كتب العلماء البارزين مثل كتب الإمام ابن تيمية وابن القيم ومحمد بن عبد الوهاب وعلماء آخرين.

7ـ منع دخول أي كتب أو مجلات إسلامية من الدول العربية أو الإسلامية إلا بعد موافقة وزارة الإرشاد.

8ـ أهل السنة في إيران محرومون من بناء المساجد والمراكز والمدارس في المناطق ذات الأكثرية الشيعية، فمثلا يعيش في طهران حوالي مليون شخص من أهل السنة ولكن ليس لديهم أي مسجد أو مركز يصلون أو يجتمعون فيه، بينما توجد كنائس للنصارى واليهود ومعابد للمجوس، وذلك يتم تحت ذريعة الحفاظ على وحدة المسلمين السنة والشيعة وتجنب التفرقة بينهم، في حين للشيعة مساجد وحسينيات ومراكز في المناطق ذات الأكثرية السنية، وبالإضافة إلى طهران فإن هناك مدناً كبيرة ليس فيها أي مسجد لأهل السنة مثل أصفهان، يزد شيراز، ساوة، وكرمان.

9ـ هدم وإغلاق المساجد والمدارس والمراكز الدينية لأهل السنة مثل هدم مسجد (جامع شيخ فيض) الواقع في شارع خسروى في مدينة مشهد بمحافظة خراسان في 18 يوليو "تموز" 1994 وتحويله إلى حديقة للأطفال، بالإضافة على إغلاق عشرات المساجد والمركز الدينية مثل مدرسة ومسجد نور الإسلام في مدينة جوانرو في كردستان، ومسجد ومدرسة شيخ قادر بخش البلوشي محافظة بلوشستان، ومسجد لأهل السنة في هشت ثر في محافظة جيلان، ومسجد حاج أحمد بيك في مدينة سنندج مركز محافظة كردستان، ومسجد في كنارك في ميناء ضابهار ببلوشيتان، ومسجد في مدينة مشهد في شارع 17 شهريور، ومسجد الإمام الشافعي في محافظة كرمانشاه في كردستان، ومسجد أقا حبيب الله في مدينة سنندج بكردستان، ومسجد الحسنين في شيراز، ومسجد ومدرسة خواجة عطا في مدينة بندر عباس بمحافظة هرمزكان، ومسجد النبي في مدينة ثاوة في كردستان.

10ـ اعتقال وسجن عدد كبير من الشيوخ والعلماء البارزين وطلبة العلم والشباب الملتزمين دون أني ذنب أو ارتكاب أية جريمة فقط لأنهم متمسكون بعقيدتهم الإسلامية ويدافعون عن الحق ويطالبون بحقوقهم الشرعية.

11ـ اغتيال أو اختطاف ثم إعدام العشرات من العلماء والدعاة البارزين والمئات بل الآلاف من المثقفين وطلبة العلم والشباب الملتزمين من أهل السنة ومنهم الشيخ العلامة ناصر سبحاني، والشيخ عبد الوهاب صديقي، الشيخ العلامة أحمد مفتي زادة، الشيخ الدكتور على مظفريان، الشيخ الدكتور أحمد ميرين سياد البلوشي.

رسالة الى أعيان الشيعة في لبنان:

«نؤمن بأن المقاومة كانت قوة للبنان ولا نريدها أداة إقليمية للتخويف»...

يحيى جابر ويوسف بزي الحياة 21/2/2005

وُلدنا، حسب وثيقة الولادة، تحت خانة المذهب: مسلم شيعي.

شاءت الأقدار اننا أصبحنا، وبقناعة، خارج طوائفنا وطوائف الآخرين، مواطنين فخورين بمواطنيتنا، نؤمن بانتمائنا الى الكيان اللبناني وبنظامه الديموقراطي. وكنا على خلاف، وما زلنا، مع كل الطائفيين وايديولوجيات الطوائف. مع ذلك نعلم اننا حين نموت سندفن حسب المذهب الشيعي شئنا أم أبينا.

وعليه، بصفتنا المعنوية، ككتّاب وعاملين في الحقل الثقافي والاعلامي، يتوجب علينا، في هذه اللحظة التاريخية، أن نوجه رسالتنا هذه، بحبر المصارحة والمكاشفة، الى الطائفة الشيعية وأعيانها:

- نؤمن بأن لبنان وطن نهائي لجميع ابنائه، وما يصيب جميع ابنائه يصيبنا.

- نؤمن بأن اغتيال الرئيس رفيق الحريري يشكل استهدافاً لكل لبنان ولكل اللبنانيين، وهو عمل إجرامي يتحدى فينا توقنا للاستقلال والتحرر وإنجاز سيادتنا الكاملة.

- نؤمن انه لا يجوز ان تغيب الطائفة الشيعية، أو تحضر بخفر، في لحظة جنازة رجل قدم للبنان وللجنوب تحديداً الكثير الكثير، وهي ذاتها لحظة انتفاضتنا الاستقلالية وصرختنا لصوت كرامتنا الوطنية.

- من غير المقبول لهذا الغياب ان يتكرر كما حصل عام 1920 وعام 1943.

- نؤمن ان العزاء الوحيد لمقتل الرئيس الحريري ليس فقط في الكشف عن الجناة ومعاقبتهم، ولكن ايضاً في تحقيق طموحات اللبنانيين وتطلعاتهم في ان يروا وطنهم سيداً حراً، خالياً من كل الاحتلالات.

- نخشى ان يأتي يوم وتكون نخبة من المواطنين (الشيعة) في جانب و"قادة الطائفة" السياسيين والروحيين في جانب آخر، كما حصل في الكثير من الأحيان.

- نخشى أن تستمر سياسة الاستتباع والقطيعية التي طالما أودت بأهل الجنوب وأرضه فداءً للآخرين وويلاً على لبنان.

- نؤمن بأن "المقاومة" كانت قوة للبنان، طالما أجمع عليها اللبنانيون، ولا نريدها أداة إقليمية للتخويف أو التخوين أو لتنفيذ سياسات الآخرين.

- لقد وقف اللبنانيون جميعهم مع أهل الجنوب واحتضنوهم لكي ينجزوا معاً تحرير الأرض، فلا يجوز أن نتردد في الوقوف مع كل لبنان لتحرير انسانه ودولته.

- نؤمن بأن زمن المحاصصة والانتفاع والريعية الحزبية يجب أن ينتهي في السياسة وفي شتى مناحي الحياة الادارية والاقتصادية.

- نؤمن بلبنان العضو المؤسس لجامعة الدول العربية فلا حاجة بنا لاستيراد العروبة من احد، ونحن مصدّروها الأوائل.

- نؤمن بلبنان العضو المؤسس لمنظمة الأمم المتحدة واننا جزء لا يتجزأ من هذا العالم الذي نشترك معه بكل قيمه وشرعاته ومبادئه الانسانية، ولن نقبل ان نجد أنفسنا على تعارض مع العالم ومع العصر.

- نؤمن كلبنانيين اننا بلغنا سن الرشد، منذ اتفاق الطائف، على الاقل، ولا حاجة بنا الى أي وصاية أمنية أو دينية أو ايديولوجية... لا إقليمية ولا دولية.

- نؤمن بدولة عصرية لجميع مواطنيها، وكل حسب كفاءته، وهذا أقل ما نستحقه وأقل ما نرضى به لنا ولأولادنا وأحفادنا.

كاتبان لبنانيان

أخطاء إحصائية لعدد سكان لبنان والناخبين

الوطن العربي العدد 1458 الجمعة 11/2/2005

يتبين من خلال لوائح الشطب التي نشرتها وزارة الداخلية عن مجموع الناخبين في لبنان للعام 2005، أن هناك في جميع الدوائر الانتخابية الـ 26 ثلاثة ملايين ومائتين وستة وخمسين ألف ناخب في سن الـ 21 وما فوق، أي بدون ناخبي سن الـ 18، وهذا الرقم يدل على أمرين: إما أن يكون هناك خطأ في لوائح الشطب، وهذا مستبعد، وإما أن تعداد مجموع سكان لبنان فاق الستة ملايين نسمة، خلافا لما يتردد عن أن عدد السكان لا يتجاوز الثلاثة ملايين ونصف المليون نسمة، خصوصا أن وزارة الداخلية تقول بحسب إحصاءاتها الدقيقة إن عدد المسلمين في لبنان هو ما يقارب مليون وثلاثمائة ألف نسمة. وهذا ما يعني أن المسلمين يشكلون 59% والمسيحيين 40%.

وإذا تم اعتماد إحصاءات وزارة الداخلية يتبين أن عدد سكان لبنان لا يتجاوز الثلاثة ملايين ومائتي ألف نسمة. وهذا ما يتعارض مع مجموع عدد الناخبين في كل الدوائر الانتخابية. لذلك فإن مسؤولي الإحصاءات في وزارة الداخلية لم ينتبهوا إلى هذا الفارق بين عدد سكان لبنان وعدد الناخبين الذي يتساوى مع العدد الأول.

وقد أثارت هذه الإحصاءات موجة من التساؤلات في صفوف عدد كبير من المرشحين للانتخابات النيابية المقبلة الذين طالبوا وزارة الداخلية بالتدقيق في هذه الإحصاءات التي تشكل نوعا من "الفضيحة" نظرا للخطأ غير المتعمد في مجموع عدد سكان لبنان قياسا على عدد الناخبين. لذلك فإن وزير الداخلية سليمان فرنجية الذي تلقى سلسلة مراجعات في هذا الموضوع، طلب من مصلحة الإحصاءات إعادة النظر في الأرقام خصوصا أرقام عدد الناخبين تفاديا للوقوع في أي خطأ بشان مجموع عدد سكان لبنان بما فيها عدد المجنسين الذين لا يتجاوز عددهم الـ 120 ألف مجنس.

ولو كان مجلس الوزراء قد اعتمد اقتراح الوزير سليمان فرنجية في قانون الانتخاب بالسماح للمواطنين من سن الـ 18 بالانتخاب، فإن عدد هؤلاء الناخبين من الشباب والشابات 350 ألف ناخب منهم 280 ألفاً من المسلمين و 70 ألفاً من المسيحيين، وهذا هو السبب الأساسي لرفض مجلس الوزراء هذه الاقتراح الذي يستلزم تعديلا دستوريا للمادة 21 التي تحدد سن الاقتراع لمن أتم الواحد والعشرين من عمره إضافة إلى أن مثل هذا الاقتراع يوسع الفارق بين الناخبين المسلمين والمسيحيين. لذلك وتفاديا لأي خلل ديموغرافي واسع، فقد ارتأى بعض الوزراء إلغاء هذا البند في قانون الانتخاب، على الرغم من مطالبة الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله والرئيس نبيه بري باعتماده، ظناً منهما أن عدد الناخبين الشيعة يرتفع بنسبة 10% على الأقل ويحدث خللا في التوازنات مع الطوائف المسيحية والطائفة السنية.

وبسؤال إلى أحد مسؤولي مصلحة الإحصاءات عن هذا الخطأ، والتفاوت بين نسبة عدد سكان لبنان ونسبة عدد الناخبين، فأجاب أن هذه الأرقام غير صحيحة ويبدو أن بعض الصحف قد التبس عليها الأمر مع أن عدد سكان لبنان الحقيقي لا يزيد على أربعة ملايين ونصف المليون نسمة.. من الطبيعي في هذه الحال أن يصبح عدد الناخبين حوالي ثلاثة ملايين ناخب.

على أية حال، فإن مصلحة الإحصاءات قد تعيد النظر بهذه الأرقام وتدقق فيها تمهيدا لتصحيح نتائج هذه الإحصاءات على وسائل الإعلام، لأنه في حال كان عدد سكان لبنان ستة ملايين نسمة لكانت الدولة قد اضطرت إلى رفع عدد النواب من 128 إلى 140 نائبا، بحيث يكون تمثيل الشعب في مجلس النواب تمثيلا حقيقيا بدون أي غبن أو إجحاف بحق ملايين من هذا الشعب. لذلك يردد هذا المسؤول أن الخطأ ليس من مصلحة الإحصاءات ودوائر النفوس ووزارة الداخلية، بل هو خطأ إعلامي سيتم تصحيحه بالسرعة الممكنة لتنوير الرأي العام وإزالة أي التباس في عدد السكان وعدد الناخبين.

موقف السيستاني من احتلال العراق يهدّد بانشقاق التحالف الرباعي

مهدي ربيع الحياة 21/2/2005

تفاقمت ردود فعل الشارع الشيعي ضد ما يسمّيه «تطاولاً» على المرجع الديني آية الله علي السيستاني، وطرحت أمس خيارات اللجوء إلى القضاء ومقاطعة المؤسسات ذات التوجه القومي، ما أثار مخاوف من تداعيات ذلك على المعارضة واحتمال ان تطاول «التحالف الرباعي» المعارض، الذي يشكل «التجمع القومي الديموقراطي» أحد أركانه الاربعة، وتهدد بنيته.

وقال عضو مجلس إدارة «جمعية الوفاق الوطني الإسلامية» (الواجهة الرئيسة للتيار الاسلامي الشيعي) الدكتور عبدالجليل السنكيس لـ«الحياة» ان الشارع الشعبي أصبح يطالب بعدم التعاطي مع «نادي العروبة» و«جمعية التجمع القومي» المحسوبين على التيار القومي ومحل تجمع القوميين والناصريين، داعياً هاتين المؤسستين إلى إعلان موقفهما من الكتابات التي انتقصت من شخص السيستاني ومرجعيته الدينية، «وإلا فإنهما تؤيدان هذه الكتابات».

وكانت الكاتبة في صحيفة «أخبار الخليج» سميرة رجب أثارت احتجاجات في الشارع الشيعي بعدما وصفت السيستاني بـ«الجنرال المشرع للاحتلال الأميركي» للعراق، بيد ان الصحيفة ذاتها نشرت أول من أمس مقالا لعضو «نادي العروبة» عضو مجلس إدارة «جمعية التجمع القومي الديموقراطي» محمود القصاب، اعتبره الشيعة هجوماً غير مباشر على السيستاني بعدما قال: «لم نسمع في ثورة 1918 ضد الاحتلال البريطاني فتاوى من قبيل الوقوف على الحداد، أو المقاومة السلمية، ولم تصدر دعوات انتهازية مثل ضرورة اغتنام الفرصة لتمكين الطائفية من السيطرة على مقاليد الحكم».

ولفت السنكيس إلى «مطالبات» بإقالة القصاب من الأمانة العامة للمؤتمر الدستوري بسبب تعرضه للمرجعية الدينية وتجريحها، ومطالبات أخرى ما تزال قيد الدرس لإقامة دعوى قضائية ضده وضد سميرة رجب، وتنظيم اعتصام احتجاجي أمام مبنى «أخبار الخليج» يمتد إلى وزارة الإعلام القريبة منه. واضاف ان ملف التطاول على المرجعية الدينية ستبحثه «جمعية الوفاق» في اجتماعها مساء غد، وشدّد على ضرورة اتخاذ موقف، مذكّراً بأن «ثوابت» جمعيته «فوق أي تحالفات سياسية».

17 أيار الجديد والأجندة الخفية للقرار 1559

عريب الرنتاوي ، الدستور 3/7/ 2005

هل ثمة أجندة خفية للقرار 1559؟... وهل لبنان مقبل على "17أيار" جديد؟

سؤالان جوهريان، يستمدان مركزيتهما من كونهما محور الخطاب السوري/ اللبناني الموالي، الرافض للقرار الدولي المذكور، المستمسك فجأة باتفاق الطائف الذي انقضى على توقيعه ستة عشر عاما؟

والحقيقة أن أجندة القرار 1559 اشتملت على ثلاث أهداف: أولها مطالبة "جميع القوات الأجنبية الباقية بالانسحاب من لبنان"، وثانيها: دعوته إلى "حل ونزع أسلحة كافة الميليشيات اللبنانية وغير اللبنانية"، وثالثها: دعمه "بسط سلطة الحكومة اللبنانية على كامل التراب اللبناني".

المهمة الأولى، وصفها الأسد في خطابه بالأسهل، أما المؤامرة المخفية في ثنايا القرار فتتجلى في استهداف المقاومة والتمهيد للتوطين، فحزب الله من منظور سوريا وحلفائها ليس ميليشيا مسلحة، بل حركة مقاومة مستثناة من "الطائف" والقرار 1559 معا، وتفويضها كما رسمه حسن نصر الله، ليس محددا بتحرير مزارع شبعا، بل بالدفاع "المفتوح" عن لبنان. وبهذا المعنى، فليس لدى سوريا ولا أي من حلفائها في لبنان، جدول زمني أو حتى أفق محدد، لبسط سيادة الدولة على الجميع، وإنهاء الميليشيات وأسلحتها، فسوريا من قبل قالت أن قواتها باقية في لبنان إلى أن يعم السلام الشرق الأوسط، وحزب الله يقترح أن تتمدد ولايته فتصبح جزءاً من ولاية الدولة، مفتوحة إلى ما شاء الله، ملازمة لوظيفة الدولة بالدفاع عن السيادة.

أما التوطين، فليس في القرار ما يشير إليه، اللهم إلا إذا اعتبر البعض نزع أسلحة المخيمات توطينا، أو بسط سيادة الدولة عليها عملا يندرج في هذا السياق "المشبوه"، ولا ندري ما إذا كان الفلسطينيون في لبنان قبل ظهور الثورة الفلسطينية المعاصرة، جزءا من مشروع تاريخي للتوطين، لم يخرجوا منه أو عليه إلا بعد أن تسلحت المخيمات... لا ندري ما قيمة سلاح أكله الصدأ، ولم تعد له من وظيفة سوى الاحترابات الداخلية... ولا ندري ما إذا كان غياب السلاح من أيدي الفلسطينيين في مخيمات سوريا، يعني أن دمشق ضالعة في مؤامرة التوطين، لا ندري أية دولة تقبل أن تكون المخيمات على أرضها خارج نطاق السيادة.

ثم أن فزاعة التوطين في لبنان، كما في غيره، تستخدم غالباً لتصفية حسابات دالية لا أكثر ولا أقل، فكثير من اللبنانيين الرافضين للتوطين، لا يهمهم أي مصير ينتهي إليه الفلسطينيون، ولسان حالهم يقول فليذهبوا إلى الجحيم، المهم أن لا يبقوا في المخيمات، التي تحولت فعلا إلى جحيم لا يطاق بحجة مقاومة التوطين والدفاع عن المقاومة وثقافتها؟!.

رفض التوطين وما تبعه من سياسيات وممارسات أفرغ المخيمات من خيرة أبنائها الذين اختاروا اللجوء الثاني إلى أوروبا وكندا وغيرهما، أبعدهم عن فلسطين ولم يقربهم منها، والتلويح بـ 17 أيار جديد يقرع الأبواب، ليس

سوى فزاعة أخرى، هدفها هذه المرة، تجييش الأنصار والموالين، لملء الفراغ الناجم عن الانسحاب الوشيك.

تحريك الأقليات – 1 -

د . محمد عمارة

إن علينا أن نتذكر جيداً.. وأن نذكر كثيرا بأن "الآخرين" الذين لا يريدون بأمتنا خيرا، إنما يقفون منا موقفا ثابتا.

فرغم التطور الفكري الذي يدعونه.. والمواثيق الحقوقية التي يصوغونها والشعارات البراقة التي يرفعونها.. لا يزالون حتى هذه اللحظات ينكرون الاعتراف بالاخر الإسلامي... ولعل من أحدث مواقفهم هذه ذلك المؤتمر الذي عقد بالقاهرة في فندق "شيراتون هليوبوليس" في أكتوبر سنة 2001م للحوار الإسلامي المسيحي، والذي شارك فيه الأزهر الشريف ممثلا بشيخه والفاتيكان ومجلس الكنائس العالمي وشارك فيه الدكتور يوسف القرضاوي.

وعند صياغة البيان الختامي للمؤتمر تضمن البيان عبارة "الديانات السماوية الربانية" فرفض مندوب الفاتيكان ومندوب مجلس الكنائس العالمي وهما من العرب التوقيع على "البيان" لأن المؤسسات النصرانية التي يمثلونها لا تعترف حتى القرن الحادي والعشرين بالإسلام دينا سماويا ربانيا.

ورغم المواثيق الدولية لحقوق الإنسان وفي مقدمتها تقرير المصير لا يزال "الآخرون" يحرمون شعوب الأمة الإسلامية من حقها الفطري في تقرير مصيرها بينما يقرون ذلك الحق لكل الشعوب غير الإسلامية بل إنهم يمنحونه للأقليات غير المسلمة في البلاد الإسلامية على الرغم من أنها جزء من الشعوب الإسلامية وذلك لتفتيت هذه الشعوب، وتجزئة أوطانها، كما حدث مع أقل من مليون من الكاثوليك في تيمور الشرقية.. وكما هو حادث مع الوثنيين وقلة نصرانية في جنوب السودان.

ورغم معاهدات السلام واتفاقات تطبيع العلاقات فلا تزال الصهيونية العنصرية المدعومة بالصليبية الأمبريالية الغربية، تسعى لتفتيت وطن العروبة وعالم الإسلام، وذلك بتحريك الأقليات ودفعها للتمرد على العروبة والإسلام.

وفي هذا المخطط التفتيتي الذي دعا إليه المستشرق الصهيوني "برنارد لويس" منذ قيام إسرائيل في أربعينيات القرن العشرين توالت "وثائق التخطيط" و"مراحل التطبيق".

فكتب موشى شاريت "1894ـ 1965م" رئيس وزراء إسرائيل في مذكراته سنة 1954 يقول: إننا نريد

أولا: تثبيت وتقوية الميول الانعزالية للأقليات في العالم العربي.

وثانيا: إذكاء النار في مشاعر الأقليات المسيحية في المنطقة وتوجيهها نحو المطالبة بالاستقلال والتحرر من الاضطهاد الإسلامي... فمجرد تحريك الأقليات هو عمل إيجابي لما قد ينتج عنه من آثار تدميرية على المجتمع المستقر.

إننا لسنا بإزار "نظرية المؤامرة" ولا "ذهنية المؤامرة" فالمؤامرة تدبير سري... بينما ما نحن بإزائه مخطط "معلن" وموضوع في الممارسة والتطبيق ولقد صدرت له في الكونجرس الأمريكي... قوانين.. واعتمدت له الأموال.. وعدت له مؤسسات ولجان للتفتيش والاتهام والعقاب!

فهل نفيق؟!

صحيفة القاهرة 1/ 2/ 2005

الأقليات شريكة لإسرائيل في المصير – 2 -

د . محمد عمارة

عندما نشرت المنظمة الصهيونية العالمية "استراتيجية" إسرائيل في الثمانينيات أي ثمانينيات القرن العشرين عقب معاهدة "السلام بين مصر والكيان الصهيوني عام 1979 لم تنس التركيز على ثوابت المشروع الصيهوني التي حددتها منذ إقامة هذا الكيان عام 1948.. ثوابت تفتيت الوطن العربي والعالم الإسلامي على أسس دينية.. وعرقية.. ومذهبية من المغرب إلى باكستان باعتبار ذلك التفتيت هو الضمان لأمن إسرائيل.. ولذلك جاء في هذه الاستراتيجية بالنص:

"إن دولا مثل ليبيا والسودان والدول الأبعد منها في المغرب لن تبقى على صورتها الحالية بل ستقتفي أثر مصر في انهيارها وتفتتها فمتى تفتتت مصر تفتت الباقون! إن رؤية دولة قبطية مسيحية في "صعيد مصر" إلى جانب عدد من الدول ذات سلطة أقلية مصرية لا سلطة مركزية، كما هو الوضع الآن هو مفتاح هذا التطور التاريخي الذي لا يبدو مستبعدا في المدى الطويل.

وإن تفتيت سوريا والعراق لاحقا إلى مناطق ذات خصوصية إثنية ودينية على غرار لبنان، هو هدف من الدرجة الأولى بالنسبة لإسرائيل، ولأن العراق أقوى من سوريا وقوته تشكل في المدى القصير خطرا على إسرائيل أكثر من أي خطر فهو المرشح المضمون لتحقيق أهداف إسرائيل في التفتيت، فتفتيت العراق هو أكثر أهمية من تفتيت سوريا.

ففي العصر النووي لا يمكن بقاء إسرائيل إلا بمثل هذا التفكيك ويجب من الآن فصاعدا بعثرة السكان فهذا دافع استراتيجي، وإذا لم يحدث ذلك فليس باستطاعتنا البقاء مهما كانت الحدود.

وفي 20 مايو عام 1992م دعا مركز بارايلان للأبحاث والدراسات الاستراتيجية التابع لجامعة بارايلان الإسرائيلية إلى ندوة شارك فيها مركز الأبحاث السياسية، التابع لوزارة الخارجية الإسرائيلية ومركز ديان التابع لجامعة تل أبيب لبحث المخطط الإسرائيلي حول الأقليات في العالم العربي وخلصت هذه الندوة إلى:

أن هذه الأقليات هي شريكة إسرائيل في المصير ولابد من أن تقف إسرائيل في مواجهة ضغط الإسلام والقومية العربية، أو تبدى استعدادا لمحاربتها أو مقاومتهما، إنها حليف وقوة لإسرائيل لتنفيذ سياسة الاستيطان والدولة التي ما زالت في مرحلة التكوين.

فهل نعي دلالات هذه الثوابت المعلنة؟ وهل نعي العلاقة بينها وبين هذا الذي يحدث لوحدتنا الوطنية.. سواء من الأعداء أو الدهماء؟

وهل تجوز الغفلة بعد هذا المعلن... والذي يوضع في الممارسة والتطبيق؟ وهل يصح ـ بعد هذا ـ ذلك الإرهاب الفكري الذي يريد لنا أن ننام عن المخطط المعلن.. وعن تطبيقاته متهما إيانا بأننا ضحايا "ذهنية المؤامرة" و "نظرية المؤامرة" وأن كل شيء في الساحة على ما يرام؟!.

صحيفة القاهرة 8/ 2/ 2005

الأقليات عنصر تأجيج أم استقرار؟ - 3 -

محمد عمارة

في 20 مايو سنة 1992م عقدت بـ "إسرائيل" ندوة ـ بجامعة "بارايلان" تحت عنون "تأييد إسرائيل للنزعات الانفصالية للجماعات العرقية والإثنية والاعتبارات الكامنة وراءه!!

ولقد خلصت أبحاث ومقررات هذه الندوة إلى أن "هذه الأقليات.. هي شريكة لإسرائيل في المصير، ولابد من أن تقف مع إسرائيل في مواجهة ضغط الإسلام والقومية العربية، أو تبدي استعدادا لمحاربتهما أو مقاومتهما، هي حليف وقوة لإسرائيل لتنفيذ سياسة الاستيطان والدولة التي مازالت في مرحلة التكوين"(32)!!

ولقد تزامن مع اشتعال الحرب الطائفية في لبنان ـ في سبعينيات القرن العشرين ـ غواية عدد من الشباب القبطي المصري بالاشتراك مع المارونية السياسية في هذه الحرب!.. واجتذبت الأصابع الصهيونية في أمريكا قطاعا من أقباط المهجر ـ خاصة في أمريكا وكندا واستراليا ـ لتكوين "الهيئات القبطية"، الداعية إلى ما تسميه "تحرير مصر القبطية من استعمار العروبة والإسلام"!!.. حتى أفضت هذه الأنشطة الطائفية، المواكبة لهيمنة العولمة الأمريكية، والمدفوعة والمدعومة من "اللوبي الصهيوني"، ومنظمات وكنائس "التحالف المسيحي" و "المسيحية الصهيونية".. حتى أفضت إلى إصدار "الكونجرس الأمريكي" في أكتوبر سنة 1999م، لقانون "الحريات الدينية الدولية"، الذي فرض الحماية الأمريكية على الأقليات الدينية ـ خاصة في العالم الإسلامي ـ وقنن لآليات إيقاع العقوبات الأمريكية على الدول التي لا ترضى عنها أمريكا في هذا المجال!

وليس مصادفة أن صدور هذا القانون قد جاء لحملة إعلامية بدأها محام يهودي هو " مايكل هوردفيتز" Michael Hordwitz ـWitz في 5 يوليو سنة 1995م، ثم تلقفت الخيط المؤسسات والكنائس "المسيحية الصهيونية"، و "التحالف المسيحي" و "المحافظون الجدد" لتفضي هذه الحملة ـ الموجهة

بالأساس إلى العالم الإسلامي ـ إلى قانون "الحماية والعقاب" ـ كما أسماه بحق الكاتب "سمير مرقس"(33).

وليس مصادفة كذلك، أن تجد هذه المخططات "مراكز أبحاث" ممولة من أمريكا والغرب، تركز على اللعب بورقة الأقليات في بلادنا.. وتدعو إلى تطبيق ذات المخطط الذي دعا إليه "برنارد لويس" و "بن جوريون" و "موشى شاريت" و "موشي ديان" و "أرييل شارون" و "المنظمة الصهيونية العالمية".. مخطط تفتيت العالم الإسلامي إلى كيانات سياسية ـ نعم! سياسية ـ على أساس الدين والعرق والمذهب.. أي تحويل التنوع من نعمة ومصدر قوة إلى نقمة ةتشرذم وتفتيت.. وتحويل الأقليات من لبنات في بناء الأمة والأمن الوطني والقومي والحضاري إلى ثغرات اختراق، وأسباب للانهيار والدمار.. فيكتب رئيس أحد أهم هذه "المراكز البحثية" يقول بالنص: "إن المجتمعات التي تتسم بالتعددية الإثنية في الوقت الحالي ينبغي أن تكون متعددة من الناحية السياسية أيضا" (34)!!

ومع هذه الغواية الأجنبية، التي استجابت لها ووقعت في شباكها جمعيات وجماعات طائفية، تعيش في المهاجر، متعاونة مع الصهيوينة وقوى الهيمنة الإمبريالية.. وقلة قليلة من غلاة العلمانيين والطائفيين في الداخل، يستخدم المخطط الأمريكي المعونات التي تقدم للمستثمرين، ليكرر تجربة الاستعمار الفرنسي مع الموارنة في لبنان: خلق أقلية حرية مع أغلبية محرومة، ليؤجج الصراع الطبقي، الذي يغذي النزعات الطائفية، وصولا إلى هز الاستقرار الاجتماعي.. وليس حبا في ثراء الأقليات أو سواد عيونها!

صحيفة القاهرة 15/2/2005

اجتماع الأئمة والحاخامات "كمين" خدم المصالح الإسرائيلية

فهمي هويدي ، المجلة (العدد 1303) 30/1/ 2005

أسخف ما قرأت في مستهل العام الجديد خبر اجتماع مائة إمام وحاخام في العاصمة البلجيكية بروكسل، وإصدارهم بيان من أجل السلام يندد بالعنف والتطرف والكراهية المتبادلة، وإعلانهم عن التوجه لإنشاء مؤسسة للحوار المشترك بين الطرفين في مؤتمر يعقد بمدينة فاس خلال شهر يونيو (حزيران) المقبل.

أما وجه السخافة في الاجتماع فيتمثل في أن بعض الأئمة الذين قيل إنهم يمثلون الإسلام والعالم الإسلامي، وهذا ليس صحيحا، استدرجوا للقاء الحاخامات الذين كان الإسرائيليون في المقدمة منهم، للحديث في مشكلة لم يكونوا مسؤولين عنها، ولا هم طرف فيها. وحين اجتمعوا لم يتوافر لأحد منهم الجرأة لكي يشخص المشكلة. ومن ثم كان عليهم أن يقولوا كلاماً فضفاضاً ومطاطا، يرضي الإسرائيليين ويغش المسلمين.

بل إن إعلانه لا يحتاج في حقيقة الأمر إلى أئمة وحاخامات، لأن بوسع أي أحد أن يقوله. وكانت النتيجة_ أهم نتيجة إن شئت الدقة_ أن الفريقين نظموا تظاهرة مفتعلة لكي تلتقط لهم بعض الصور وهم يتضاحكون. الرسالة خاطبت أوروبا بأكثر مما خاطبت المسلمين أو الإسرائيليين، أما لماذا حدث ذلك فإليك الحكاية من أولها.

تدليس باسم حوار الأديان

الذين يتابعون الشأن الإسلامي ـ وأنا واحد منهم ـ يعرفون جيدا أن لافتة حوار الأديان لها جاذبيتها الخاصة، وان بعض منظمي مؤتمرات الحوار تلك تواطأوا مع الأطراف الإسرائيلية على ترتيب لقاءات مع علماء المسلمين تحت مظلة الحوار وباسمه، لكسر حالة المقاطعة العربية والإسلامية لإسرائيل. ولعلي أشرت من قبل في هذا المكان إلى خبرة مؤسسة مثل الأزهر الشريف في هذا المجال، والموقف الحازم منها الذي اتخذه الإمام الأكبر السابق الشيخ جاد الحق على جاد الحق.

كان الرجل رحمه الله واعياً بمسؤوليته كشيخ للأزهر، ومدركاً للمرامي التي كان يتحراها منظمو تلك المؤتمرات المشبوهة. ولذلك فإنه كان يقول صراحة لممثلي الداعين إليها، إن الحوار مع الإسرائيليين مرفوض، لأن لهم مشكلة سياسية عويصة مع العرب والمسلمين، لم يكن أهل الأديان طرفا فيها وإنما صنعها السياسيون وأرادوا إقحام أهل الأديان في معالجة آثارها.

أما الحوار مع اليهود فبابه مفتوح، شأنهم في ذلك شأن المسيحيين باختلاف طوائفهم ومللهم. لذلك فإنه كان لا يمانع في إيفاد من يشارك في مؤتمرات الحوار، مشترطا على من يذهب شرطين: الأول أن يذهب بصفته الشخصية، وليس ممثلاً للأزهر والثاني أن يتجنب الخوض في أي حوار سياسي، باعتبار أن التفاهم الممكن بين أهل الأديان إذا كان بريئاً، له

مساحته التي لا تتجاوز التعاون والتضامن دفاعا عن الإيمان والقيم الأخلاقية والفضائل الاجتماعية.

تلك مرحلة خلت، تغيرت بعدها أشياء كثيرة في عالم السياسة، كان من أبرزها، امتداد الجسور بين السياسيين والإسرائيليين في بعض الأقطار العربية، الأمر الذي أدى إلى تهدئة جهود الساعين إلى التواصل عبر الباب الخلفي المتمثل في "حوار الأديان". وفي حالات محدودة كان الإسرائيليون يوفدون بعضاً من "حاخاماتهم" لعقد لقاءات مباشرة مع بعض الرموز الدينية، كما حدث حين التقى حاخام إسرائيل الأكبر مائير لامي مع شيخ الأزهر في شهر ديسمبر (كانون الأول) عام 1997.

يريدون تحسين الوجه القبيح

اختلف الأمر بصورة تدريجية بعد انتفاضة الأقصى، في عام ألفين، وتولى شارون رئاسة الحومة بعد ذلك واعدا ومتوعدا بسحق الانتفاضة. الأمر الذي أدى إلى ارتفاع وتيرة القمع الإسرائيلي منذ ذلك الحين. وهي الممارسات التي تابعتها الصحافة العالمية والأوروبية بوجه أخص. مسجلة عمليات القصف والاغتيال وهدم البيوت. بل وقتل بعض النشطاء الغربيين من دعاة السلام.

وكان من الطبيعي أن يؤدي ذلك. مع استمرار القمع. إلى تشويه صورة إسرائيل لدى الرأي العام الأوروبي، الأمر الذي عبر عنه نتائج الاستطلاع الذي أجراه الاتحاد الأوروبي، وارتأت الأغلبية فيه أن إسرائيل أصبحت الخطر الأول الذي يهدد الاستقرار والسلام العالميين.

الكل يعرف ما جرى بعد ذلك. حين انزعجت إسرائيل من تلك النتيجة، وان لذلك صداه الطبيعي في الولايات المتحدة، وقيل وقتذاك إن التصويت ضد إسرائيل تجسيد لتنامي مشاعر العداء ضد السامية في أوروبا، لم يجرؤ أحد على الإشارة إلى أن ثمة جرائم ترتكبها إسرائيل أثارت الغضب والاستياء في أوروبا، ومن ثم فإن الأوروبيين صاروا هم المتهمون والجناة.

ملحوظة: في وقت لاحق. في الأسبوع الأول من شهر يناير "كانون الثاني" 2005، أصدرت الخارجية الأميركية تقريرها الأول عن معاداة السامية في العالم، وكان مدهشا أن التقرير الأمريكي ردد ذات الأفكار والاتهامات التي أطلقتها المنظمات اليهودية والإسرائيلية.واتهمت فيها الجاليات الإسلامية الموجودة في أوروبا بأن لها دورا في ارتفاع وتيرة النقد لإسرائيل فيما اعتبر عداء للسامية. وربط التقرير بين تنامي أعداد المهاجرين المسلمين إلى أوروبا وازدياد كراهية الأوروبيين لإسرائيل وسياستها، الأمر الذي اعتبر بشكل مباشر كراهية لليهود وعداء للسامية(!).

إزاء ذلك التغير في اتجاهات الرأي العام الأوروبي أصبحت عملية تحسين صورة إسرائيل هدفا يراد بلوغه بكل وسيلة، وفي هذه الأجواء طرحت فكرة اللقاء بين الأئمة المسلمين والحاخامات اليهود، تبنت الدعوة إلى اللقاء مؤسسة أهلية فرنسية باسم "رجال الكلمة".

وكان الاقتراح المبدئي أن يعقد اللقاء في مدينة افران بالمملكة المغربية في شهر مايو(أيار) من العام الماضي، وبعد أن تمت الترتيبات، وسط احتجاجات شعبية مغربية واسعة النطاق، قامت إسرائيل باجتياح مدينة رفح، مما أدى إلى قتل 62 فلسطينيا واصابة العشرات وتدمير 150 منزلا. وبطبيعة الحال أدى هذه التطور المأساوي إلى تعكير الأجواء وإفسادها، الأمر الذي تعذر في ظله عقد المؤتمر، فاتفق على تأجيله إلى بداية العام الحالي، واتفق على عقده في بروكسل.

وشاء ربك أن يتكرر الاجتياح الإسرائيلي في ذات الأسبوع الذي عقد فيه المؤتمر، حيث استهدف هذه المرة خان يونس، الأمر الذي أدى إلى سقوط ما متوسطه 7 قتلى يوميا، خلال فترة الانعقاد (ما بين الثالث والخامس من شهر يناير) وكان ذلك من سوء حظ الإسرائيليين، لأن تكرار الاعتداء على الفلسطينيين جاء دالا على أن القمع الإسرائيلي سياسة مستمرة، وليس أحداثا عارضة.

إلا أن المؤتمر انعقد رغم ذلك لأن الغضب الذي هيج الساحة المغربية من جراء العدوان على رفح في العام الماضي وأدى إلى تأجيل المؤتمر، كان أقوى بكثير من صدى اجتياح خان يونس في بروكسل، وكان لذلك الهدوء النسبي أثره في تجاهل ما جرى في خان يونس. والمضي قدما في عقد المؤتمر بالعاصمة البلجيكية.

الإسلاموفوبيا للتمويه فقط

لوحظ هذه المرة أن المتحدثين باسم مؤسسة "رجال الكلمة" طوروا من خطابهم وأعلنوا أن الهدف من الحوار بين ممثلي الديانتين هو إعلان الرفض لظاهرة العداء للإسلام "الإسلاموفوبيا" ولتنامي المشاعر المعادية للسامية (!).غير أن ذلك التطوير كان ساذجا للغاية، وكاشفا عن أن موضوع "الإسلاموفوبيا" أقحم على جدول أعمال المؤتمر لسببين: أولهما أنه لو صح أن ثمة جدية في بحث موضوع العداء للإسلام لدعي المسيحيون إلى الاجتماع، لأن الظاهرة موجودة حقا في العالم الغربي، بوجه أخص في المجتمعات المسيحية، ولما دعي حاخامات اليهود إلى الاجتماع أصلا.

السبب الثاني أن التقارير التي كتبت في الاجتماع والتصريحات التي صدرت عن منظميه والمشاركين فيه لم تشر إلى موضوع الإسلاموفوبيا من قريب أو بعيد، وإنما تركزت كلها على مكافحة العداء للسامية،والتقارب والتفاهم بين ممثلي الديانتين الإسلامية واليهودية.

إزاء ذلك، فقد التقت مختلف الشواهد على أن "الاجندة" الخفية للقاء تتضمن موضوعا واحدا هو تحسين صورة إسرائيل في أوروبا، وامتصاص امتعاض الأوروبيين من السياسة الإسرائيلية إزاء العرب، عن طريق إظهار الطرفين معا ضاحكين ومتفاهمين، وكأن شيئا بينهما لم يقع !

المفارقة الكبرى في المشهد أن موضوع "الإسلاموفوبيا" الذي أسقطه المؤتمر من حسابه، واستخدمه قناعا لتمرير الفكرة و "بلعها" هو المشكلة الحقيقية الراهنة في العالم الغربي، في حين أن مسألة العداء للسامية التي استأثرت بكل الاهتمام ليست سوى وهم كبير!

أثناء انعقاد المؤتمر في يوم 4 يناير "كانون الثاني" 2005 نشرت الصحف أن مسلمين مغاربة كانوا يقيمون في جزيرة "كورسيكا" الفرنسية اضطروا للنزوح عنها، نتيجة تزايد الأعمال العنصرية ضد المهاجرين المتحدرين من أصول مغربية، وفصلت التقارير في مظاهر الاعتداء التي تعرض لها أعداد من أولئك المسلمين، كما تحدث التلفزيون المغربي عن المضايقات التي يتعرض لها المهاجرون، الأمر الذي يضطر بعضهم إلى التخلص من ممتلكاته بأبخس الأثمان والرحيل من الجزيرة. وذكرت مصادر رسمية في الرباط أن السلطات المغربية فاتحت المسؤولين الفرنسيين في الموضوع بهدف تأمين حماية الرعايا المغاربة، خصوصا أنهم يقيمون هناك بطريقة شرعية.

أين العداء للسامية

هذا مجرد نموذج واحد لمظاهر العداء للمسلمين المتزايدة في أوروبا وفي الولايات المتحدة أيضا.

وهو العداء الذي تجلى في مسألة منع الحجاب في المدارس، وفصل المحجبات من بعض الوظائف، والاعتداءات المتكررة من جانب الشبان العنصريين على المسلمين والمسلمات، التي شهدها العديد من الأقطار الأوروبية، وليس بعيدا عن الأذهان ما جرى في هولندا حين دأب أحد المخرجين على التشهير بالإسلام والمسلمين في أفلامه، الأمر الذي استفز نفرا من المسلمين فقام أحدهم بقتله، وأدى ذلك إلى ازدياد موجة العداء للمسلمين.

قل مثل ذلك في الولايات المتحدة، التي تزايدت فيه معاناة المسلمين بعد أحداث 11 سبتمبر بصورة ملحوظة، حتى انتهى الأمر بتأييد 99 بالمائة من الأميركيين لفكرة تقييد الحقوق المدنية للمسلمين، كما بين ذلك استطلاع للراي اجري هناك قبل شهرين.

هذه الممارسات ملموسة لكل ذي عينين، وهي التي دعت الأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان لكي يدعو إلى حوار حول الموضوع في نيويورك، كما أن بعض الأكاديميين المخلصين في إنجلترا حذروا من تفاقم الظاهرة والاستسلام للتعبئة الإعلامية المضادة الحريصة على تشويه صورة المسلمين والتحريض عليهم.

في حين يحدث ذلك على الجانب الإسلامي فإن أحدا لا يستطيع أن يعبر في العلن عن أي عداء للسامية في أي مكان بالكرة الأرضية، حتى وأن كان معاديا بالفعل، الأمر الذي يصور المدى الذي ذهبت إلية الحكومات والمنظمات المختلفة في مراعاتها لمشاعر اليهود.

ووصل الأمر إلى التدليل الذي شجع الدوائر الإسرائيلية على التمادي في طلب الحصانة، فانسحبت تارة على التاريخ اليهودي حتى لم يعد بوسع أي باحث أن يجادل في عدد ضحايا أفران الغاز النازية، أيا كانت حجته، إذ تقرر على الجميع رقم ستة ملايين، وإلا تعرض للمحاكمة والغرامة والحبس كما حدث مع الفيلسوف الفرنسي روجيه جارودي، بل إن تلك الحصانة

جرى إضفاؤها على حكومة الليكود الإسرائيلية ذاتها بمختلف سياساتها، حيث اعتبر أي نقد للسياسة الإسرائيلية ولشخص اارييل شارون من قبيل العداء للسامية.

ورغم أن ذلك آخر ما كان يخطر على بال أي مشتغل بالعمل العام، إلا أنه يعكس مدى "الدلال" الذي تمارسه إسرائيل الذي يبطن استكبارا واستعلاء غير مسبوقين.

إن إسرائيل ما برحت تحاول التغطية على سياساتها الوحشية عن طريق اتهام الآخرين بالعداء للسامية، كما عمدت إلى تجميل وجهها عن طريق الإيحاء بالتلاقي مع المسلمين والاتفاق مع رموزهم، في محاولة مكشوفة للقفز فوق القضية الفلسطينية التي هي أصل المشكلة وبيت الداء.

الأئمة تورطوا والحاخامات فازوا

والأمر كذلك فلعلي لا أبالغ إذا قلت إن مؤتمر الأئمة والحاخامات كان كميناً منصوباً، أريد له أن يورط الأئمة في عملية التمويه على الجريمة الإسرائيلية، ويصرف انتباه الرأي العام الأوروبي عن حقيقة المشكلة وجوهرها.

إن المجتمعين في بروكسل لم يتعرضوا لأي شيء ديني أو عقيدي، ولكنهم وضعوا على أرضية السياسة منذ اللحظة الأولى لقدومهم إلى العاصمة البلجيكية، بوعد إسقاط موضوع "الإسلاموفوبيا" تركز حوارهم حول رفض التطرف والعنف والدعوة إلى التسامح، لم يقولوا من المسؤول عن التطرف والعنف ولا من المطلوب منه أن يتسامح مع الآخر، لم يجرؤ واحد منهم من أئمة المسلمين على الأقل، على القول إن احتلال فلسطين وتشريد شعبها واغتصاب أرضها هو أعلى درجات التطرف والعنف الذي تتحمل إسرائيل مسؤوليته بالكامل،ولم نسمع صوت أحد يقول إن التسامح صار شعارا سخيفا في المواجهة التي نحن بصددها، لأن المقصود به أن يتسامح القتيل ويعفو عن القاتل..كيف؟

لقد استخدم الأئمة والحاخامات لمداراة عورة السياسيين والتستر على جرائمهم وأغلب الظن أن الحاخامات كانوا يعرفون حقيقة الهدف من لقائهم لذلك حرصوا على استخدام المفردات التي تخدم مرادهم، والعنف والتسامح في المقدمة منها، لكن القدر المتيقن أن الأئمة كانوا هم الخاسر الأكبر، لأن وجودهم أسهم في إنجاح السيناريو الموضوع وتحسين صورة إسرائيل في أوروبا، لذلك لم يكن مستغربا أن تتحدث الصحف الإسرائيلية والمشايعة لها عن النجاح الكبير الذي حققه المؤتمر وهم محقون في ذلك. إذ هل هناك ـ من وجهة نظرهم ـ نجاح أكبر من أن يلتقي الأئمة والحاخامات في حين تواصل إسرائيل اجتياح خان يونس وتقتيل شبابها ثم يصمت الأئمة عن كل ذلك ويدينون مع الحاخامات "العنف" هكذا بالمطلق، وكأن الذي يجري في إسرائيل ليس احتلالا استيطانيا بشعا من جانب إسرائيل، أدانته محكمة العدل الدولية بصراحة، ولم يشر أحد من الأئمة المحترمين إليه بكلمة؟

إننا لسنا ضد الحوار من حيث المبدأ، لكن حين يستخدم لافتة لأهداف غير بريئة من بينها التستر على جريمة الاحتلال أو تجميل وجهه القبيح، فلا بد أن تقف بحزم ضد ذلك التوظيف، وأن نرفض ذلك النوع من الحوار الخبيث، وليت الذين يدعون إليه من المسلمين يتحرون مقاصده وتوقيته وأطرافه ومكانه، التي هي لصالح إسرائيل بالكامل في الحالة التي نحن بصددها، والأمر كذلك فإنني لا أتردد في القول إن كل تعامل مع الإسرائيليين يتجاهل القضية الفلسطينية أو يقفز فوقها سواء كان من السياسيين أو المثقفين أو الأئمة، هو اشتراك مباشر في جريمة الاحتلال، بالصمت أو الطمس، بالتالي فهو في البدء والمنتهى تصرف مدان وطنيا وقوميا وينبغي أن يتنزه عنه المخلصون والشرفاء من أبناء هذه الأمة.

انتخابات ساخنة للمجلس الأعلى للطرق الصوفية بمصر

مجلة التصوف الإسلامي المصرية – العدد 312 ذو الحجة 1425 هـ

انعقدت الجمعية العمومية للسادة أصحاب الفضيلة مشايخ الطرق الصوفية في قاعة المؤتمرات بمحافظة القاهرة يوم الثلاثاء الموافق 4 يناير الحالي لانتخاب عشرة أعضاء جدد للمجلس الأعلى للطرق الصوفية في دورته الجديدة.

حرص أغلب السادة المشايخ على حضور الجمعية العمومية 66 بينما جاءوا جميعا من كل أنحاء مصر بأصواتهم وتخلف 13 شيخا فقط ،وهي نسبة حضور عالية تظهر مدى حرص السادة المشايخ على تعميق الديمقراطية والمساهمة في اختيار المجلس لأهمية المرحلة القادمة.. وعلى الرغم من اشتعال المنافسة بين السادة المرشحين في الفترة الأخيرة إلا أن الجميع نسوا حدة هذه المنافسات والتقى الجميع بابتسامة على الشفاه وفرحة في القلوب لهذا التجمع الجميل..

تولى سماحة شيخ المشايخ تنظيم الاجتماع وتوالى السادة المشايخ في الإدلاء بأصواتهم ثم تشكلت لجنة الفرز من السادة سماحة شيخ المشايخ والدكتور حسين المسلي واللواء سمير محمد... وقد كانت هناك 64 ورقة صحيحة واستبعدت ورقتان باطلتان لزيادة الاختيار في واحدة عن عشرة والثانية لم يتعد الاختيار فيه 6 شخصيات.

وقد انتهت لجنة الفرز وأعلنت النتائج كالتالي:

الشريف أحمد كامل ياسين الرفاعي 48 صوتا.

السيد عبد الهادي أحمد القصبي 44 صوتا.

السيد الدكتور محمد أبو هاشم 42 صوتا.

السيد علاء أبو العزائم 41 صوتا.

السيد إبراهيم التسقياني 36 صوتا.

السيد سالم الجاوزلي 36صوتا.

السيد إبراهيم سلامة الراضى 36 صوتا.

السيد محمود أبو الفيض 35 صوتا.

السيد عبد الخالق الشبراوي 34 صوتا.

ثم تساوى السيد الدكتور عصام محمد زكي إبراهيم 33 صوتا والسيد أحمد الصاوي 33 صوتا وطالب البعض بإجراء قرعة بينهما وطالبت الأغلبية بإعادة عقد الجمعية العمومية بالعدد المتوفر من السادة المشايخ لحسم الأصوات بينهما.. ووسط تبادل الآراء والرجوع إلى المواد القانونية التي تنظم الانتخابات أراح السيد الدكتور عصام محمد زكي إبراهيم الجميع وأعلن من منطلق نبيل وراق فيه حب وتضحية وإيثار تنازله عن المقعد

العاشر لزميله السيد الصاوي ليحسم جدلا كان قد بدأ ولا نعرف كيف ستكون نهايته.. وكانت لفتة جميلة من السادة المشايخ حينما ذهبوا إلى الدكتور عصام لتهنئته على الموقف الشجاع والنبيل والذي حظي به على تحية وإجلال وتقدير كل الحاضرين..

ألف مبروك للسادة الفائزين بثقة إخوانهم في الجمعية العمومية تحية تقدير إلى جميع السادة المشايخ الذين حرصوا على إظهار كل المودة والترابط والألفة وهم يشاركون في أكثر الجمعيات العمومية للطرق الصوفية سخونة وكما بدأنا وانتهينا في هذا اليوم الديمقراطي الجميل فإن مقدار الحب للجميع لن ينقص منه خردل واحد. وإذا كنا نتقدم للسادة المشايخ الذين لم يحالفهم التوفيق بالتقدير والاحترام والأمنيات لهم بالتوفيق في المرات القادمة بإذن الله.

الملتقى الأول للطرق الصوفية بغرب إفريقيا:

مجلة التصوف الإسلامي المصرية – العدد 312 ذو الحجة 1425 هـ

تحت شعار "التصوف أصالة تتجدد" افتتح الرئيس أمادو توماني توري رئيس جمهورية مالي يوم الجمعة 17/ 12/2004 في قصر المؤتمرات بباماكو أعمال الملتقى الأول للطرق الصوفية بغرب إفريقيا بحضور أعضاء الحكومة ورؤساء الجمعيات والمنظمات الإسلامية وأعضاء السلك الدبلوماسي المعتمدين في مالي وحشد كبير من أتباع الطرق الصوفية وتلاميذ وطلاب ومدرسين وأساتذة وصحافيين دوليين ومحليين.

وقد شارك في المؤتمر سماحة الشيخ حسين الشناوي شيخ مشايخ الطرق الصوفية، والدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر السابق،والشيخ علاء أبو العزائم شيخ الطريقة العزمية، والشيخ الحسيني أبو الحسن شيخ الطريقة الجوهرية الأحمدية، وعبد الحليم العزمي ابن الطريقة العزمية.

وقد افتتح الحفل بتلاوة آيات من الذكر الحكيم، وتلاها كلمة رئيس المجلس الأعلى الإسلامي الذي رحب بالسادة الحضور وبالضيوف الكرام ووضح أهمية انعقاد هذا الملتقى في مالي للصلة الوثيقة بين مسلمي مالي والتصوف الإسلامي وجاء في كلمته ما يلي: (أيها السادة: إن عاصمة مالي بماكو لتفتخر اليوم بوجود أهل العلم والعرفان فيها الذين جاءوا من كل فج وجو ابتغاء مرضاته عز وجل ليخدموا دين الله تعالى دين الأمن والسلام. وأن دولة مالي قد ذاق أبناؤها حلاوة الإيمان منذ نعومة أظفار الإسلام وسجل التاريخ حياة المسلمين فيها قديما وحديثا والجهاد الأكبر من زهد في الدنيا وهجرها إلى الله تعالى وتمسك بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فإذا من الله تعالى على دولة مالي بأن عقد على أراضيها هذا الملتقى الصوفي العالمي وقد أراد بهم وبغيرهم أن تنفعهم الذكرى، ذكرى الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم في رجاء الله واليوم الآخر وفي ذكر الله كثيرا قال تعالى: "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا" .فخامة الرئيس أمادو توماني توري: إن شكر مسلمي غرب أفريقيا لفخامتكم ولفخامة أخيكم الرئيس معمر القذافي على عقد هذا الملتقى العظيم ليعجز عن تعبيره الحرف واللسان وإنما يتولاه القلب والجنان).

وتلاها كلمة الوفود المشاركة قام بإلقائها **سماحة الشيخ حسن الشناوي شيخ مشايخ الطرق الصوفية لجمهورية مصر العربية** ركز فيها على حسن الضيافة التي حظوا بها منذ وصولهم إلى مالي وقد أوضح الشيخ حسن الشناوي أهمية هذا الملتقى فهو يندرج في إطار الجهود الجبارة التي تبذلها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية من التقارب الإسلامي، فالصوفية الإسلامية ترجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس مثل هذه المجهودات إلا من باب إيصال رسالة الإسلام وإيضاح معالمها التي من أهم كبرياتها التصوف الإسلامي المعتدل.

ويلاحظ أن واضع عنوان الملتقى "التصوف أصالة تتجدد" كان بعيد النظر في اختيار هذا العنوان لأنه يدل القارئ على أن التصوف قديم لأنه مأخوذ عن القائد الأول صلى الله عليه وسلم وكان في حالة ازدهار ثم تلى فترة الإزدهار فترة ركود فأراد بهذا العنوان عودة التصوف لعهده السابق الزاهر.

ثم ألقى د. أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر سابقاً، كلمة أكد فيها على أن التصوف كلفظ واصطلاح ظهر بعد المصطفى صلى الله عليه وسلم ولكن المعنى ظل موجودا وقائما في الواقع الإسلامي من منطلق الإحسان المعروف في العلم الإسلامي، إذن فلا بد من ضرورة تجلية بعض الجوانب من هذا القبيل، وذلك لمن يحدثون مثل هذا الشغب الفاتن، ثم ختم بالتأكيد على أهمية المؤتمر في البلاغ والإعلام مع وجود قنوات أخرى ذات أهمية لا تنكر والفضل والشكر كل الشكر لمن لهم الفضل في تنظيمه والإسهام فيه وأخيرا تقدم الدكتور أحمد عمر هاشم بقصيدة مدح وتمجيد للجمعية على محاسنها وفضائلها.

وقد قدم د. أحمد عمر هاشم بحثا بعنوان "التصوف وتوحيد الصف الإسلامي" وقد ناشد الحضور بإقامة ندوات ومؤتمرات لنشر علوم القرآن الكريم استجابة للمستجدات في حياتنا المعاصرة، وفي تعريفه للتصوف ودوره، ذكر أن التصوف يعني تصفية القلوب، من الحسد والحقد والكراهية، والاعتصام بالله، والابتعاد عن كل التيارات الهدامة، والالتفاف حول كلمة لا إله إلا الله، وأكد أن هذه الكلمة هي همزة وصل بين المؤمنين، وهي الجامعة بينهم كما ذكر نكتة لطيفة يقول فيها إن الدنيا سفينة ومن فيها مسافرون فقط.

هذا وقد قدم الشيخ عبد الحليم العزمي ورقة عمل حول شرعية الذكر والتوسل والزيارة، وأوضح أن هذه الورقة لا يمكن أن تتصدى لكل الأمور والقضايا التي تدخل تحت هذا العنوان على أهميتها نظرا لضيق الوقت والحاجة إلى طرح القضايا الأساسية التي تطرح خلال الملتقى.

وأضاف أن الصوفية هم المعدن الأصيل في دنيا الناس، وما انتصرت الأمة في أيامها الكبرى إلا بهم، وما انتشر الإسلام في ربوع المعمورة إلا بأخلاقهم، وما تخرج الرجال إلا من زواياهم ومجامعهم، فالطريق الصوفية هي جامعة القرآن، ومدرسة النبوة، والمعهد العالي الذي ينجب للدنيا الصورة المثالية للإنسان الكامل في دينه ودنياه. والواقع أن الأمة الإسلامية في أمس الحاجة إلى تفعيل وإعادة دور الطرق الصوفية في مواجهة الاستعمار العالمي والصهيونية الدولية.

وقال عن مشروعية الذكر أنه عنوان الولاية، وبيان الوصلة، وتحقيق الإرادة وعلامة على صحة البداية ودلالة صفاء النهاية، فهو طريق الحق، ووسيلة الصدق، فما سلك المريدون طرقا أصح وأوضح من طريق الذكر.

وعن مشروعية التوسل قال: الوسيلة لغة: كل ما يتقرب به إلى الغير، توسل إلى الله تعالى توسلا: عمل عملاً يتقرب به إليه. فتتحقق منه أن

التوسل لا يسمى عبادة إنما هو وسيلة للعبادة، والتوسل لا تقرب فيه للمتوسل ولا تعظيمه غاية، التعظيم حتى يكون عبادة، وإنما يرى ذلك من باب الأدب.

وعن مشروعية زيارة القبور قال: إن زيارة القبور سنة، وكان قد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها في صدر الإسلام قبل أن تشرق أنوار الحق جلية على القلوب، وتقرير أصول الإسلام، فما أن انعقدت كل القلوب على الحق، وظهر أن الخلق جميعا عبيد مقهورون وعباد مربوبون، وعلم كل مسلم أنه في حاجة إلى رحمة الله، وعفوه وفضله وكرمه اتسع الأمر بعد التشديد، وأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بزيارة القبور فقد قال صلوات الله وسلامه عليه "كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تزهد في الدنيا وتذكر الآخرة"..

وقد ألقى الدكتور محمد أحمد الشريف أمين عام جمعية الدعوة الإسلامية العالمية كلمة جدد فيها الشكر على حسن الضيافة وأثنى على الجهود المبذولة لإنجاح هذا الملتقى العالمي، لأن هذا الملتقى لقاء للعاملين في حقل الدعوة الإسلامية والمقتدين بالقرآن الكريم ولقاء محبي السلم والسلام العالمي ولقاء للحديث عن تصوف إسلامي يرجع تاريخه إلى أبي الأنبياء جميعاً نبي الله إبراهيم عليه السلام، فالتصوف تراث إنساني شريف يجب الحفاظ عليه...